ظّواهر صّوتيّة في لهجة بصيرا دراسة: وصفيّة تاريخيّة

*عمر عبد المعطي السّعوديّ**

ملخص

تهدف هذه الدّراسة إلى الكشف عن الظّواهر الصّوتيّة في لهجة أهل منطقة بصيرا (المركز) بمناطقها: غرندل وأم سراب وريعا ورواث، والضّحل؛ لبيان هذه الظّواهر، وتثبيتها؛ حفظاً لها من التّغيُّر؛ لأنّها تؤرِّخ لاستعمال معيّن في زمن محدّد. وقد اتّبع الباحث في دراسته المنهجين الوصفيّ والتّاريخي، واعتمد في دراسة شواهدها الرّصد والملاحظة، مُؤمِّلاً الوصول إلى تفسيرات لها، ومحاولاً – ما أمكن – ربطها بالجذور التّاريخيّة في اللّغة العربيّة الفصحى، واللّهجات العربيّة القديمة، إذ تمثّلت هذه الظّواهر في لهجة بصيرا في ظاهرة المماثلة من خلال: الإدغام، والإبدال، والإمالة، وتسهيل الهمز، واشتملت الدّراسة على مقدّمة وتعريف باللهجة في اللغة والاصطلاح، وتعريف بـ" لواء بصيرا " من حيث الجغرافيّة والسّكّان، وخاتمة وثبت بالمصادر والمراجع، وعددٍ من النّتائج التي توصّلت إليها، وكان من أبرزها: خلّو هذه اللهجة من كثير من الظّواهر الصّوتيّة، وإبدال الضّاد ظاءً حيثما وردت.

الكلمات الدالة: ظواهر صوتيّة، بصيرا، لهجة، المماثلة، الإدغام، الإبدال.

المقدمــة

لا ريب في أنّ دراسة اللّهجات العربيّة الحديثة أمرٌ يعتريه بعض الصّعوبات، من مثل: السّفر، والاستماع، والتّسجيل والمقارنة، وهي أمور غاية في الصّعوبة، ولعلّ ممّا دفعني إلى دراسة هذه الظّواهر أنّني من أبناء المنطقة، أحسب نفسي مستعملاً للظّاهرة، وراصداً لها في الوقت نفسه؛ لذا رأيت أن أدرس الظّواهر الصّوتيّة في لهجة بصيرا منطلقاً ممّا يأتي:

- عدم وجود دراسة من هذا النّوع لهذه الظّاهرة في هذه المنطقة الجغرافيّة، وهناك دراسات كثيرة تناولت اللهجات العربيّة بشكل خاص، وأخرى بشكل عامٍّ، أفدت منها أيّما إفادة، وقد أودعتها في ثبت المصادر والمراجع.
- أنني ابن المنطقة وابن اللّهجة، لا أدرس ظاهرة لم يألفها لساني أو لسان قومي، ويظهر لي أنّ هذا من أهمّ محددات الدّراسة، وهو شواهدها التي يمكن أن تُوصف بذا بالدّقّة والموضوعيّة.
- توثيق هذه اللّهجة التي تتميّز من كثير من اللّهجات الأردنيّة التي تثاقفتُ مع أهلها؛ بسبب السّفر أو التّعليم أو العمل، أو غير هذه الأسباب، وحفظاً لها من أن يصيبها تطوّرٌ أو تغيير، أو يأتي عليها النّسيان.
- لعلّها تَرْفِدُ الدّراسات الصّوتيّة، وتساعد تفسير وجود ظاهرة معيّنة في الدّرس الصّوتيّ.

ولقد أفدت من الدّراسات العربيّة القديمة، والحديثة الّتي تناولت ما يُصِيبُ الأصوات العربيّة من تطوّر، أو تغيير، أو تبديل.

بصيرا الأرضُ والسُّكّان

بصيرا مدينة من مدن الأردن، تقع جنوب غرب مدينة الطّفيلة، ويحدّها من الشّمال لواء قصبة الطّفيلة، ومن الجنوب لواء الشّوبك، ومن الشّرق البادية الجنوبيّة (معان)، ومن الغرب وادي عربة، وهي تطلّ مدن وقرى الخليل، وقد كان أهلها قديماً يرحلون إلى فلسطين سيراً الأقدام؛ لقربها منهم، حتّى إنّ بعضهم بقي فيها، وكوّن أسرة هناك.

وتبلغ مساحة لواء بصيرا حوالي (264 كم^2)، وتشكّل (8,7%) من مساحة محافظة الطّفيلة البالغة (2309,5 كم^2)، وبلغ عدد سكّانها – وفق آخر إحصائيّة عام 2009م – حوالي (21000 نسمة)، وتتميّز بتنوّع تضاريسها، فهي محاطة بالأودية، والجبال من الجهات الأربعة، ثمّ إنّها مُحَصَّنَةٌ ومحميّةٌ؛ ليس لها إلا مدخل واحد، فزائرها لا بدّ له من أن

* قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الطفيلة التقنية، الأردن. تاريخ استلام البحث 2014/6/19، وتاريخ قبوله 2015/1/1.

© 2016 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

يخرج من حيث دخل، وترتفع فوق سطح البحر ارتفاعات مختلفة بلغت أقلّها (500 م) وأعلاها (1500 م) ومناخها باردٌ جدّاً شتاءً، ومعتدلٌ صيفاً، وتشتهر بزراعة أشجار التّين والعنب والحمضيّات، وكذلك الحبوب، ويذكر أن فيها أشجار زيتون مُعَمَّرة، يعود تاريخها إلى العهد الرّومانيّ، ولعلّ مَعَاصِرَ الزّيتون، وطواحينه القديمة الّتي ما زالت آثارها موجودة تشهد ذلك.

أمّا عن وجود أهالي بصيرا فيها فليس لدى الباحث دليل تاريخ وجود أهالي بصيرا فيها، وهو أمر لا يختلف فيه أهلها عن غيرهم من أبناء المناطق السّكّانيّة، إذ إنّ قضيّة التّأصيل للأشياء أمر كان صعباً، وما زال. ولكنّ ما يُمكن قوله: هو أنّ أهالي بصيرا اليوم، لم يكن لهم وجود فيها قبل عام 1850م، ولعلّ ممّا يعزّز هذا ما ذكره الرّحالة السّويسريّ (بيركهارت) الذي زارها في 1812/8/11م. وقد رسم اسمها(بصيرا) بالتّاء المربوطة (بصيرة)، وهي معروفة لكثرة الاستعمال عُدِل عن التّاء المربوطة إلى الألف. أمّا اليوم فلا تكاد تجد من يرسم اسمها بهذا الرّسم، وإنّما يرسمونها بالألف القائمة (بصيرا).

يقول (بيركهارت) واصفاً بصيرا:" تقع جنوب غرب السّفوح الغربيّة لمنطقة الجبال، يمين الغور،... وهي تتكوّن من خمسين بيتاً، وقد بُنِيَت مرتفع من الأرض، وبها حصن صغير، وفي هذا الحصن يلتجئ الفلّاحون، ومعظم دوابّهم ومحصولاتهم وقت الشِّدَّة، وَسُكَّان قرى بصيرة وصنفحة وضانا، هم من بني حميدة الّذين تحوّلوا مع الزّمن من البداوة إلى الفلّاحة،... ويبدو من الآثار الكثيرة الممتدّة إلى مئات من الخطوات حول بصيرة أنّها كانت في الماضي مدينة كبيرة"[1]من خلال حديث(بيركهارت) يتبيّن أنّ أهلها – حينما زارها – لم يكونوا مَنْ هُم اليوم 2014 م، وقد ذكر غير واحد من كبار السّن من أهلها أن أهلها قديماً، كانوا من قبيلة بني حميدة، وقد تركوها هرباً من غزو أجداد أهلها الحاليين، وهم اليوم (بنو حميدة) يسكنون في لواء فقوع وصرفا وامرع وشيحان الّتي تتبع إداريّاً لمحافظة الكرك، ويُعْرَفُون بـ "البصِيْرَاوِيّين" نقلاً عمّن رحل من أهلهم كبار السِّن، والبصيراويّون نسبة إلى (بصيرا) بلدهم الّتي كانوا فيها قبل عام 1850م.

وبصيرا اليوم مركز لواءٍ، يتبع إداريّاً لمحافظة الطّفيلة، وتقع بعد (21 كم) جنوب غرب مدينة الطّفيلة، وقد كانت من حيث التّقسيمات الإداريّة مديريّة ناحية منذ 1965/7/5م، حتّى 1985/12/9م، ثمّ أصبحت مديريّة قضاء بتاريخ: 1985/12/10م، حتّى 2001/1/1م، وقد أصبحت متصرّفيّة لواء بتاريخ 2001/1/1م، وما زالت، ويتبع لها إداريّاً: غرندل وأم سراب، ورواث، وسيل ريعا، وضانا والقادسيّة والضّحل، وكانت القادسيّة تسمّى – قديماً – "بئر العطاعطة"، وقد غيّرت الحكومة الأردنيّة اسمها عام 1984م، بناءً رغبة من الأمير الحسن بن طلال، وقد ذكرها الأستاذ عمر عناني[2] متعجّباً من بعض طباع أهلها، وبصيرا هي عاصمة مملكة آدوم أو (أيدوم) القديمة المعروفة منذ 1600 قبل الميلاد، وحتّى 555 قبل الميلاد، وقد بقيت كذلك ما يقرب من (11) قرناً من الزّمان، وآدوم هو عيسو ابن النّبي إسحاق – عليه السّلام –، وهو جدّ الآدوميّين الذين سكنوا هذه المملكة، وكانت حدودها تمتدّ من جنوب شرقيّ الأردن، أي من وادي الحسا شمالاً، وحتّى وادي عربة وخليج العقبة جنوباً، وهي تعني باللغة الآدوميّة الدّرع الحصينة، وقد قضى (بنو نيدس) دولة الآدوميّين، وعاصمتها بوصيرة (بُصْرة)، في حملته التي قام بها سنة 552 قبل الميلاد"[3]، وتقع جبلٍ تبصره العين من حيث نَظَرَتْ إليها. ويحتضن ترابها وقلوب أهلها الصَّحابيّ الجليل الحارث بن عمير الأزديّ – رضي الله عنه – الذي كان استشهاده سبباً رئيساً في غزوة مؤتة الخالدة الّتي وقعت في السّنة الثّامنة من الهجرة النّبويّة الشّريفة.

يسكن بصيرا عدد من العشائر، يُعْرَفُون بـ"السُّعوديّين" وهم: المسيعدين، الرّفوع، الزّيدانيين، عيال سلمان، المزايدة، الفقير، وتضم كل من هذه العشائر عدداً من الأفخاذ، ليس هذا موطن ذكرها. ويذكر كبار السّنّ أنّ عناصر أهالي بصيرا الأصليين، جاؤوا إليها بعد عام 1850م من الحجاز مهاجرين إلى فلسطين جنوباً بين غزّة والخليل، ثمّ اتّجهوا شرقاً نحو وادي موسى، ثمّ إلى الشّوبك، عند أقاربهم بني نعيم في قضاء إيل، وهم ينحدرون جميعاً من أبٍ يُدعى منصور الأعمى الذي استقرّ في الشّوبك وله من الأحفاد: رجل اسمه خليفة ومن ذريّته: الملاحيم والرّفايعة، وهم اليوم من أبناء عشائر لواء الشّوبك، وسعود هو والد السّعوديين سكّان بصيرا.

تحتضن بصيرا تشكيلاً، وعناصرَ وافدةً قليلة لجالية ليس لها صلة بأهلها الأصليين، تقيم فيها، ويعمل أبناؤها كما يعمل أبناء البلدة في التّجارة والزّراعة، والصّناعة، وغيرها من المهن، وقد انخرطوا مع مجتمع بصيرا الأصل وذابوا فيه، ولم يبقَ من مظاهر غُرْبِهم عن البلدة إلا بعضُ الكلمات البسيطة التي تسمعها – أحياناً – على ألسنتهم.

يتميّزُ أهل بصيرا بحبّهم للعلم، إذ تحتضن بلدتهم ثالث مدرسة في المملكة الأردنيّة الهاشميّة، وقد تأسّست سنة 1911م، ولم يكن في الأردن مدارس قبلها غير مدرستيّ السّلط والكرك الثّانويتين.

مفهوم اللّهجة

قبل الحديث عن لهجة بصيرا، يرى الباحث أن يُفْرِدَ حديثاً عن اللهجة من حيث اللغة والاصطلاح.

اللّهجة لغة

قال ابن منظور: "واللّهْجَة واللّهَجَة: طرف اللسان، وجَرْسُ الكلام، والفتح أ، ويقال: فلان فصيحُ اللّهْجَة واللّهَجَة، وقيل: اللهجة" اللسان، وهي اللغة التي جُبِل عليها الإنسان فاعتادها، ونشأ عليها" واستعملت العرب (لَهَجَ) استعمالاً آخر، وهو قولهم:" والفصيل يَلْهَجُ أمّه إذا تناول ضَرْعَها يمتصّه، ولَهَجَ الفصيلُ بأمّه يَلْهَجُ، إذا اعتاد رَضَاعَها فهو فصيلٌ لاهِجٌ، وفصيلٌ راغلٌ لاهجٌ بأُمّه"[4] وقالت العرب: "لَهَجَ زيدٌ بالأمر لَهَجَاً ولَهْجَاً، والمصدر اللهج، ويقال فلان صادق اللهجة، وألهج الرّجل فهو مُلْهَج إذا لهجت فصاله بالرّضاع والفصيل لاهج "[5]، وقد خرّج المحدثون (لَهَجَ) المجاز، فقالوا:" اللغة يتلقّاها الإنسان من ذويه ومخالطيه، كالفصيل الذي يتناول اللبن من ضَرْعِ أمّه فيمتصّه، كما أنّه حين يتعلّم اللغة يكلف بها ويولع، كما يتعلّق بشيْ ويولع به"[6].

اللهجة في الاصطلاح

ذكر أهل الاصطلاح" اللّهجة " فقالوا:" إنّها تدلّ طائفة من المميزات اللغويّة، ذات نظام صوتيّ خاصّ تنتمي إلى بيئة خاصّة، ويشترك في هذه المميزات جميع أفراد تلك البيئة، وهذه البيئة قسم من بيئة أعمّ وأشمل تنتظم لَهَجَات عدّة، وهي متميّزة الواحدة عن الأخرى، بظواهرها اللغويّة، ولكنّها تأتلف فيما بينها بظواهر لغويّة أخرى تُيَسِّر اتّصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفَهْمَ ما قد يدور بينهم من حديث فَهْمَاً قدر الرّابطة التي تربط بين هذه اللهجات" [7]، وقد ذُكِرَ أنّ اللهجة:" طريقة من طرق الأداء اللغوي يتوخّاها المتكلّم في ظلّ حالة اجتماعيّة خاصّة، وهي ظاهرة دينميكيّة، والعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاصّ، ولا يشترط أن تشتمل اللغة صفات كلّ لهجة تنتمي إليها، بل ربّما تأخذ من كلّ لهجة ما تسير عليه قواعدها وقوانينها، حتّى إنّ كلّ لهجة تبقى محتفظةً ببعض الخصائص التي تميّزها عن اللغة الأمّ، وعن اللهجات الأخرى"[8].

وممّا سبق يتبيّن لنا أنّ اللّهجة هي: مجموعة من الخصائص التي تشير إلى طريقة الأداء اللغويّ في التّواصل اللفظيّ وفق سياقات ثقافيّة تحكم هذا الأداء في بيئة ما، تنتظم بطريقة محدّدة، تحكمها ظروف اجتماعيّة معيّنة، تملي أهلها عادةً لغويّة يُعْرَفُونَ بها.

الظّواهر الصّوتيّة في لهجة بصيرا

تبيّن للباحث أن لهجة بصيرا تحتوي ظواهر صوتيّة معروفة لدى دارسي علم الأصوات، منها:

المماثلة

هي قانون صوتيّ يُعرف بالإنجليزيّة بـ" Assimilation " وهو يتناول تلك الأصوات اللغويّة التي تتأثّر ببعضها عند النّطق بها في الكلمات والجمل، فتتغيّر مخارج بعض الأصوات، أو صفاتها، لكي تتّفق في المخرج، أو في الصّفة مع الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام، فيحدث عن ذلك نوع من التّوافق والانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو الصّفات، وقيل:" التّماثل ظاهرة شائعة في كلّ اللغات بصفة عامّة، غير أنّ اللغات تختلف في نسبة التّأثّر وفي نوعه"[9]، وقد عبّر عنها سيبويه بقوله:" هذا باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه، والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه"[10]، ويعدّ ابن جنيّ ممّن عالجوا هذه الظّاهرة وقد سمّاها: الإدغام الأصغر، وهو عنده:" تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك وهو ضروب"[11] وهناك ضروب عند علماء الأصوات تبيّن أنواع التّأثّر النّاتجة عن قانون المماثلة، فإن أثّر الصّوت الأوّل في الثّاني، فالتأثّر (مُقْبِل) وإن حدث العكس، فالتّأثّر (مُدْبِر)، وإن حدثت مماثلة تامّة بين الصّوتين، فالتّأثّر (كُلِّي)، وإن كانت المماثلة في بعض خصائص الصّوت، فالتّأثّر (جُزْئِي) وفي كلّ حالة من هذه الحالات، قد يكون الصّوتان متّصلين تماماً، بحيث لا يفصل بينهما فاصل من الأصوات الصّامتة أو الحركات، وقد يكون الصّوتان منفصلين بعضهما عن بعض بفاصل من الأصوات الصّامتة أو الحركات "[12].

ولقد عرف الدّرس الصّوتيّ عند القدماء أكثر من مفهوم للمماثلة، منها: "المضارعة" و"المناسبة، والتّقريب، والمشابهة"[13] وعنى بها تحقيق الانسجام والتّقارب الصّوتيّ. ولعلّ الفرق بين القدماء والمحدثين، فيما يتّصل بدراسة ظاهرة المماثلة، يكمن في أنّ القدماء لم يُفَصِّلوا القول فيها، إذ لم يجعلوا لها باباً مستقلّاً، مثلما فعل المحدثون، وإنّما جعلوها في أثناء حديثهم عن الظّواهر الصّوتيّة، لاسيّما فيما يتعلّق بدراسة المستوى الصّرفيّ.

من خلال رصد الباحث لشواهد ظاهرة المماثلة في لهجة بصيرا تبيّن أنّه قد جاء من وجوه، هي:

الأوّل: الإدغام

يُعَدُّ الإدغام من الظّواهر الصّوتيّة المشهورة في كلام العرب، وقد احتلّ مكانة من نطقهم، حتّى اختلفت صوره

وتعدّدت مواضعه. ومن المعروف أنّ الأصوات المتجاورة تؤثّر بعضها ببعض، تأثيراً نسبيّاً، إذ تختلف من صوت إلى آخر، إذ يمكن أن يكون التّأثيّر جزئياً، كأن يفقد الصّوت صفة من صفاته فينتقل من الجهر إلى الهمس، أو العكس، أو كليّاً يترتّب عليه فناء الصّوت في الصّوت المجاور له بشكل تامٍّ. أنّ مسألة التّأثير هذه ليست ما يألف المتكلّم ويحبّ، وإنّما لها قواعد وضوابط تحكمها، وفي ذلك قيل:"الإدغام نادر بين أصوات الحلق؛ لأنّها ليست بأصل للإدغام"[14].

الإدغام لغةً

ذكر علماء اللغة القدماء أنّ معنى الإدغام هو:"إدخال حرفٍ في حرف، قال الأزهريّ: وإدغام الحرف في الحرف مأخوذٌ من إدخال اللجام في أفواه الدّواب"[15].

الإدغام في الاصطلاح: ذكر أهل الاصطلاح أنّ الإدغام: "إدخال حرف في حرف دون وجود حركة تفصل بينهما، إذ يجب سكون الأوّل، وهو عندهم قسمان:

الأوّل: أن يلتقي حرفان من جنس واحد، فتسكن الأوّل، وتدغمه في الثّاني فيصيرا حرفاً واحداً مشدّداً، فيرفع عنهما اللسان رفعة واحدة.

الثّاني: أن يلتقي حرفان متقاربان في المخرج، فيؤثّر الثّاني في الأوّل حتّى يصير من جنسه، وتدغمه فيه فيصير حرفاً واحداً، ولا يكون إلا في المثلين والمتقاربين"[16]، وسبب الإدغام عند العلماء، هو ما يجد المتكلّم من صعوبة في نطق ما فيه ثِقَلٌ اللسان، إذا التقى متجانسان، إذ يفرّ المتكلّم منهما طلباً للخفّة والسّهولة. وقد ذَكَرَ العلماء أنّ للإدغام فائدتين، هما:

تحقيق المماثلة، والانسجام بين الأصوات المنطوقة، إذ إنّه:" تقريب صوت من صوت "[17]، وطلب الخفّة والاقتصاد في الجهد العضليّ أثناء عمليّة الكلام، وفي ذلك يقول أبو عمرو بن العلاء: العرب إذا أرادت التّخفيف أدغمت، فإذا كان الإدغام أثقل من الإتمام أتمّت"[18]، أمّا ابن يعيش فقال الإدغام:" أن تصل حرفاً ساكناً بحرفٍ متحرّك مثله من غير أن تفصل بينهما بحركة، أو وقف فيصيران لشدّة اتّصالهما كحرف واحد ترتفع اللسان عنهما رفعة واحدة"[19]. وذلك ظاهر في تاء (افتعل) ومشتقّاتها، وقد ظهر للباحث أنّه يشيع عند أهالي بصيرا إدغام التّاء فيما جاء أوزان (تفعّل وتفاعل ويتفعّل)، بالصّوت الواقع بعدها، مع ضرورة قلب صوت التّاء إلى مثل الصّوت المؤثّر الذي يشبه الصّوت الذي يسبقه، من حيث المخرج وفي بعض الصّفات، ومردّ هذا التّشابه إلى التّجانس الصّوتيّ؛ طلباً لتقليل الجهد العضليّ المبذول، إذ الإنسان بطبعه ميّالٌ إلى الخفّة والسّهولة، فأهالي بصيرا يقولون: (بدعّثر، بطلّع، بدّحرج، بتثاوب (بسقوط الهمز) في (يتدعّثر، يتطلّع، يتدّحرج، يتثاءب). وفي هذا اللون من الاستعمال اللهجي إبدال لياء الفعل في الأوزان السّابقة بصوت الباء. والنّاظر في هذا الإدغام الشّائع في لهجة أهالي بصيرا، يرى أنّ له ما يجيزه من القوانين الصّوتيّة، لا سيّما وأنّه يحدث بين الأصوات التي بينها صلات قرابة من حيث المخرج أو الصّفة أو أنّ فيه فراراً من الصّائت الطّويل إلى صامت، كما حدث مثلاً بين ياء (يتدعثر) وبائها بعد أن صارت (بدّعثر).

ثانياً: الإبدال

الإبدال لغةً: البدل خلف من الشّيء، والتّبديل: التّغيير، واستبدلت ثوباً مكان ثوب، وأخاً مكان أَخٍ، ونحو ذلك من المُبَادلة، وتبدّل الشيء وتبدّل به واستبدل به، كلّه اتّخذ منه بدلاً"[20].

الإبدال في الاصطلاح

عرّف الإبدال غير واحد من العلماء القدماء والمحدثين، والنّاظر في تعريفاتهم لا يجد اختلافاً كبيراً بينها، إذ يرون أنّه إقامة صوت مكان صوت في كلمة"[21]، أو هو جعل حرف مكان حرف آخر. ويقع في الحروف الصّحيحة، كما إنّه يقع في حروف العلّة، والإبدال القياسيّ في صيغة افتعل ومشتقّاتها"[22].

أشكال الإبدال في لهجة بصيرا

عرف الدّرس الصّوتي عند العرب عدداً من العادات النّطقيّة التي منها: الكشكشة، والكسكسة والوَتْم، وغيرها، وقد ظهر للباحث أنّ لهجة بصيرا قد خلت تماماً من هذه العادات سوى الفحفحة والطمطمانيّة والعنعنة.

أوّلاً: الفحفحة (إبدال العين حاءً)

ظاهرة صوتيّة قديمة، ذكر السيوطي في الاقتراح:" أنّ إبدال العين حاءً لغة هذيل"[23]، وقد تغشّت هذه الظاهرة القراءات القرآنية، إذ ورد عن ابن مسعود – رضي الله عنه – أنّه قرأ قوله تعالى: "حتّى حين" سورة يوسف: 35 "عتّى حين" أن العرب قد عرفوا إبدالاً عكس هذا الإبدال وهو إبدال العين حاءً في قوله تعالى: "قالوا نعم" سورة الأعراف: 24، :"قالوا نَحَم" و"إذا بُعْثِرَ ما في القبور" سورة العاديات: 9، بُحْثِرَ" بالحاء لا بالعين[24]، وقد كانت قبيلة هذيل تقلب العين حاءً"[25]، ويمكن القول في تفسير هذا النّمط من الإبدال: أنه يرجع إلى أنّ العين والحاء صوتان حلقيان، الأوّل(العين) مجهور، والثّاني(الحاء) مهموس، أن بعض الباحثين يرى أن الفحفحة خاصّة بحاء (حتّى)[26]، في حين يرى بعض المستشرقين أنّ (عتّى) في لغة هُذَيل، لها صلة بكلمة (عَدَي) الموجودة في بعض اللغات السّاميّة وفي العربيّة الجنوبيّة القديمة، وكذلك الكلمة العبريّة (عَد، عاذي) بمعنى حتّى، فالحاء تقابل العين والتاء تقابل

الدّال، أي أننا أمام صورتين لكلمة واحدة"[27].

ويبدل بعض أهالي بصيرا العين حاءً، وذلك في مثل قولهم: مَحّهم في مَعَهُم، ومَحّها في مَعَها، في حين يلحظ أنّهم يقولون مَعَه أو مَعَاه ولا يقولون مَحّه، ويبدو أنّ سبب إبدالهم العين حاءً فيما يبدلون من أصوات يردّ إلى ما بين الصّوتين من قرب في الصّفات، ويرى الدرس الحديث أن: "الحاء، هو الصوت المهموس الذي يناظر العين، فمخرجهما واحد ولا فرق بينهما إلا أن الحاء صوتٌ مهموس نظيره المجهور هو العين"[28]. وقد قيل:" ولولا بُحّة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها منه"[29]. ويردّ إبراهيم أنيس إبدال العين حاءً في"مَحّهُم" إلى أنّ" العين "صوت مجهور والهاء صوت مهموس، تأثّرت العين بالهاء، فقلبت إلى نظيرها المهموس وهو الحاء، وهذا تأثّر رجعيّ شاع في اللهجات العربيّة، ثمّ لم يقف الأمر عند هذا، بل تأثّر الصّوت الثّاني وهو الهاء بالأوّل، وهو الحاء تأثّراً كاملاً وَفَنِيَت الهاء في الحاء وصارت الكلمة: "مَحّم" وهو تأثّر تقدّمي نادرٌ في اللغة العربيّة، وقد ذكر سيبويه أنّ بني تميم يقولون: "مَحّهم"، يريدون: "مَعَهُم" و"محّاهؤلاء"، يريدون" مَعَ هؤلاء" [30].

ويذكر أن العين هي النظير المجهور للحاء فلا فرق بينهما إلا في تذبذب الأوتار الصّوتيّة مع العين وسكوتها مع الحاء "وقد ألحق بعض العلماء الحاء والعين بالأصوات المستعلية، الأمر الذي يجعل للحاء من وجهة نظر هؤلاء بعض القيمة التفخيميّة، وبفقد الحاء للنفس تصبح عيناً"[31]. وصوت العين موجودٌ في اللغات السامية كلها ما عدا الأكّديّة إذ نابت عنه الهمزة، أو صوت العلّة فعقرب في العربيّة يقابلها (akrab>) في العبريّة و (ekkarba>) في الآراميّة و (akrab>) في الحبشيّة و (akrabu> أو akrabu) في الأكّديّة [32].

وهذا لا يعني أنه لم يتعرّض لتغييرات تاريخية في بعضها[33] يتبيّن مما سبق أن صوت العين صوتٌ صعب النطق، لذا، لجأت اللّغة إلى استبداله بأصواتٍ أخرى قريبة منه في المخرج أو الصفة. وفي هذا مسوِّغٌ لأن يحدث إبدالٌ بينه وبين الحاء، فصوت الحاء قريب من صوت العين، ولا تختلف عنها إلا في البُحَّة التي فيها.

ثانياً: الطّمطمانيّة (إبدال اللام ميماً)

يبدل أهالي بصيرا اللام ميماً، إذ يقولون: "امبارح" في "البارحة"، ويقولون في بعض أغانيهم الشّعبيّة:

وامبارح واوّل امبارح
وقليبي بالهوا سارح

وهذا النّمط من الإبدال عرفته العرب قديماً، وسمّته بـ"الطّمطمانيّة"، ومفهومها: أن تجعل (لام التّعريف) ميماً، ولعل حِمْيَر ونفراً من طيء قد عُرِفُوا بها، إذ يقولون: طاب امهواء، يريدون "طاب الهواء"[34]. وقد أُثِرَ عن الرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم، أنّه قال: ليس من امبر امصيام في امسفر"[35]، أن من المحدثين مَنْ يرى أنّ هذا الإبدال من بقايا السّاميّات، أو المتحجّرات اللغويّة "substrat "، وهي بقايا لأصول لغويّة قديمة، ويذكر أن هذا الإبدال ما زال في اليمن، وبعض المناطق في المملكة العربيّة السّعوديّة"[36]. ولعلّ ممّا يسوّغ هذا الإبدال بين صوتي اللام والميم تلك العلاقة الصّوتيّة بينهما، فهما من الأصوات المتوسّطة (المائعة)، يتّصفان بصفات الجهر والانفتاح والاستفال، زيادة القرب في المخرج، ولقد أثبتت تجارب المحدثين أن القدماء كانوا حقّ في الرّبط بين الأصوات الذّلقيّة (الرّاء واللام والنّون)، ومعها الميم لما بينها من التّشابه في الصّفات، زيادة أنّها تشترك في أنّها من أوضح الأصوات السّاكنة في السّمع، وفي أنّ مجرى الهواء معها يتّسع فلا نكاد نسمع لمرور الهواء معها أي صفير أو حفيف، كما تشترك في سهولتها وكثرة دورانها الألسنة وشيوعها في الكلام"[37].

ثالثاً: العنعنة (إبدال الهمزة عيناً)

عُرف إبدال الهمزة عيناً في الدرس الصّوتي القديم بـ"العنعنة" قال السيوطي: "وهي في كثير من العرب في لغة قيس وتميم تجعل الهمزة المبدوء بها عيناً، فيقولون في: "أَنَّكَ": "عَنَّكَ"، وفي "أَسْلَم":"عَسْلَم" وفي "أُذُن" :"عُذُن"، وقد سميت بهذا الاسم لكثرة حدوثها في "أن" وقلّة حدوثها في غيرها"[38]، ولقد علّل بعض الدّارسين هذا النّمط من الإبدال الذي يحدث بين الهمزة والعين بأنّه: "يرجع إلى نظام النّبر، ذلك أن العنعنة لم تحدث إلا في موقع النّبر لدى هذه القبائل، فإنّ الكلمات التي سِيْقَت مكوّنة من مقطع واحد يقع عليه وحده النّبر، فلمّا بُولِغَ في الضّغط تحوّلت الهمزة إلى عين، أو شبه عين، أي إلى صوت قريب من الهمزة، يمتاز عنها بالجهر، ويتقارب معها في المخرج"[39].

ولقد رصدت الدّراسة عدداً من الشّواهد هذا الإبدال في لهجة أهالي بصيرا، لاسيّما كبار السّن، ويمكن القول: إنّها واضحة عند مَنْ يمثّلون هذه الفئة، إذ يبدلون الهمزة عيناً في مثل قولهم في سَأَلَ: سَعَلَ، ويسْأَلُ: يَسْعَل، واسْأَلْ: اسْعَل، وهكذا، وإبدال الهمزة عيناً، لهجة عربيّة قديمة، ينسبها العلماء إلى قبيلة قيس وتميم[40]. وقد روت كتب اللغة أمثلة هذا النّوع من الإبدال، مثل قول الشّاعر ذي الرّمّة:

أَعَنْ تَرَسَّمْتَ من خرقاءَ منزلةً
ماءُ الصَّبَابةِ من عينيكَ مَسْجُومُ[41]

إذ قال: "أعن" وهو يريد: "أأن"، ومنه ما ورد في شرح المفصّل، وغيره من أُمّات الكتب، قول مجنون بني عامر:

فعيناكِ عيناها وجِيْدُكِ جيدها
سوى عَنَّ عَظْمَ السّاق مِنْكِ دقيقُ [42]

إذ قال: "عن" وهو يريد: "أنّ"، ومن أمثلته– أيضاً – ما ورد في قول السّيّدة عائشة – رضي الله عنها – إذ قالت:" تَحْسَبُ عنّي نائمة" أي أنّي نائمة"[43]. وإبدال الهمزة عيناً، أمر تجيزه القوانين الصّوتيّة، فالصّوتان متقاربان في المخرج، إذ الهمزة صوت حنجريّ، والعين من الحيّز الذي يليه من أقصى الحلق، وهو أقرب الأصوات إلى الهمزة، وأخفّ منها، ولعلّ القبائل التي يرِد ألسنة أبنائها مثل هذا الاستعمال، تميل إلى إظهار الهمزة؛ ولذلك تبدله عيناً، لا سيّما وأنّ العين أكثر وضوحاً في السّمع من صوت الهمزة، فالعين صوت مجهور، والهمزة ليست كذلك، فالوتران الصّوتيّان يغلقان معه تماماً، فلا يحدث ذلك الاهتزاز اللازم للجهر"[44].

رابعاً: ظواهر صوتيّة مختلفة

في أثناء رصد الباحث للهجة أهالي بصيرا، تبيّن بعض الظّواهر الصّوتيّة التي جاءت متنوّعة، ولا تقع تحت مسمّى محدّد، وإنّما يمثّل كل منها ظاهرة صوتيّة، وهي:

أوّلاً: إبدال الخاء غيناً

يشيع هذا النّمط من الإبدال ألسنة معظم أهالي بصيرا، ومن أمثلته قولهم: مَغْفَر في مَخْفَر، وهو لهجة عربيّة قديمة، قال سيبويه: "ألا ترى أنّه يقول بعضُ العرب: مُنْخُلٌ ومُنْغُلٌ فَيُخْفِي النّون كما يُخْفِيَها مع حروف اللسان والفم، لقرب هذا المخرج من اللسان، وذلك قولك في"اسلَخْ غَنَمَك: اسْلَغْنمك"[45]، وقد روى ابن مكيّ الصّقلّي عدداً من الأمثلة لهذا الإبدال ألسنة أهل صقليّة في القرن الخامس الهجريّ، وعدّها من باب الخطأ، ومنها: خرجنا في غِفَارة فلان، وهذا غفير القوم، والصّواب بالخاء، يقال: خِفارة وخُفارة، وخُفْرة"[46]، ثم إنه عرف عن العرب قولهم: خُرْز أي غُرْز"[47]. ولقد أجازت قوانين اللغة الصّوتيّة هذا الإبدال، ومردّ ذلك إلى أنّ الصّوتين من مخرج واحد، فهما صوتان طبقيان، يخرجان من الطّبق، ولا فرق بينهما سوى أنّ الغين صوت مجهور، والخاء صوت مهموس"[48].

ثانياً: إبدال الذّال ظاءً

عرف الدّرس الصّوتي عند العرب إبدالاً بين صوتي الذّال والظّاء، ومن المعروف أنّ الذال صوت يصدر: "من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا"[49] وهو: "أسناني رخو مجهور مرقق، لا فرق بينة وبين الظّاء الفصحى إلا التفخيم والترقيق"[50] ويحدث: "بأن يندفع معه الهواء مارّاً بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ الهواء مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج الصوت،...، وهناك يضيق هذا المجرى فنسمع نوعاً قويًّا من الحفيف"[51].

فالذال إذن، صوت مجهور، احتكاكي"[52]، ليس في نطقه تفخيم كما في نظيره الظّاء، وقد استعاضت عنه بعض اللهجات العامية بصوتي الدال والزّاي"[53] وهو وفق هذا الوصف صعب النطق؛ لهذا ظهر ميل إلى إرجاعه إلى الخلف؛ ليتحوّل إلى دال أو زاي اقتصاداً في المجهود العضلي المبذول عند النطق به"[54].

ويذكر أنّ لهذا الميل جذوراً سامية قديمة، فتحول في الآرامية المتأخرة والسّريانية إلى دال وذلك نحو (dhb) بمعنى ذهب في الآرامية القديمة، التي تحولت إلي (dhb) في الآرامية المتأخرة، وتحول إلي زاي في الأكّديّة نحو (ahaz>) بمعنى (أخذ) وفي العبرية نحو (āhaz>) وفي الحبشية مثل (ahaza>) وكذلك تحول إلى زاي في الآرامية القديمة التي حوّلته فيما بعد إلى دال في المتأخرة، ولم يحتفظ به من مجموع اللغات السامية إلا العربية والأوغاريتية"[55].

ولقد ظهر للباحث أنّ أهالي بصيرا يميلون إلى إبدال الذّال ظاء حيثما وردت، ومن ذلك قولهم: "هاظا" في "هذا"، و"هظاك" في "هذاك". حتّى إنهم يقولون: "هَظُولا" في "هَذُول"، يريدون: "هؤلاء". و"أَخَظَ" في "أَخَذَ" و "خْظ" في "خُذْ"، وبعض الأردنيّين يبدلون الذّال دالاً، فيقولون: "هادا" أو "هادْ" (بالتّسكين) في "هذا" زيادةً إبدالها زياً، إلا أنّ أهالي بصيرا لا تعرِف ألسنتهم رمزاً صوتيّاً للذّال غير الظّاء، ويُلحظ أنّهم يجمعون بين هاء التّنبيه وكاف الخطاب في قولهم "هظاك"، وهذا اللون من الإبدال تجيزه القوانين الصّوتيّة، لا سيّما وأنّ الصّوتين من مخرج واحد، فهما أسنانيّان مجهوران رخوان، وليس بينهما فرق سوى أنّ الظّاء مفخّمة والذّال مرقّقة، وقد ذكرهما مكيّ بن أبي طالب، فقال: "ويجب أن تعلم أنّ الظّاء تشبه في لفظها أيضاً الذّال، فإذا أَزَلْتَ لفظ الإطباق من الظّاء صارت ذالاً. لذلك لو زِدتَ لفظ الإطباق في الذّال لصارت ظاءً، وإنّما كان ذلك كذلك، لأنّ الظّاء والذّال من مخرجٍ واحد، وهما مجهوران، ولولا الإطباقُ والاستعلاءُ اللذان في الظّاء لكانت ذالاً، فَالتَّحَفُّظُ بإظهار لفظ الظّاء وأنْ لا تدخلَ في لفظ الضّاد، أو لفظ الذّال، واجب مؤكّدٌ"[56].

ويبدو أنّ أهالي بصيرا لا يبدلون الذّال بغير الظّاء، كما يفعل أهالي المناطق الأخرى من الأردن، إذ يبدلون الذّال زياً أو دالاً، فيقولون في أَخَذَ: أَخَدَ أو أَخَزَ، وفي إذا: إزا، وقوانين اللغة تجيز لهم هذا الإبدال، ولكن ما يميّز أهالي بصيرا عنهم،

أنّهم لا يبدلونه بغير الظّاء أبداً، بمعنى أنّ له عندهم رمزاً صوتيّاً واحداً.

ثالثاً: إبدال السّين صاداً

يظهر هذا الإبدال الصّوتيّ في نطق بعض أهالي بصيرا حيث يقولون: برد قارِص في قارِس، وصَطْح في سطح، وصَخْلَة في سَخْلَة، صِيَّارة في سَيَّارة، وصارة في سارة، وصَلَخَ في سَلَخَ، وصِراط في سِراط، وصَحَر في سَحَر، وصُنّارة في سِنّارة، وتِصْعة في تِسْعَة (العدد)، ومَصْطَرة في مِسْطَرة، وصَطْر في سَطْر، وأم صراب في أم سراب (منطقة تتبع للواء بصيرا)، وماصُورة في ماسُورة، وغيرها من الكلمات. ويظهر للباحث أنّ هذا اللون من الإبدال الذي حدث في بعض أصوات الكلمات التي فيها صوت الرّاء يرجع لقوّتها بالجهر والتّكرير والتّفخيم. ثمّ إنّ إبدال السين صاداً ظاهرة صوتيّة عُرِفتْ ألسنة العرب منذ القدم، وفي ذلك يقول سيبويه: "هذا باب ما تُقْلَبُ فيه السّين صاداً في بعض اللّغات تقلبها القاف إذا كانت بعدها في كلمة واحدة، وذلك، نحو: صُقت وصبقتُ، وذلك أنّها من أقصى اللّسان، فلم تنحدر انحدار الكاف إلى الفَم، وتصعّدتْ إلى ما فوقها من الحنك الأ. والدّليل ذلك أنّك لو جافيت بين حنكيك فبالغت، ثمّ قلت: "قَقْ، قَقْ"، لم ترَ ذلك مُخِلّاً بالقاف، ولو فعلته بالكاف وما بعدها من حروف اللسان، أَخَلَّ ذلك بهنّ. فهذا يدلّك أنّ مُعتمدَها الحنك الأ"[57]، وبعبارة أُخرى: فإنّ السبب الوحيد في إبدال السّين صاداً هو التّماثل، فإذا جاء بعد السّين صوت مفخّم، فإنّ السّين تفخّم أيضاً. قال سيبويه: "فلمّا كانت كذلك، أبدلوا من موضع السّين أشبه الحروف بالقاف؛ ليكون العمل من وجه واحد، وهي الصّاد، لأنّ الصّاد تصعّدُ إلى الحنك الأ للإطباق، فشبّهوا هذا بإبدالهم الطّاء في "مصطبر"، والدّال في "مزدجر"، ولم يبالوا ما بين السّين والقاف من الحواجز؛ وذلك لأنّها قلبتها بُعْد المُخْرجين. فكما لم يبالوا بُعْدَ المخرجين، لم يبالوا ما بينهما من الحروف، إذا كانت تقوى عليها والمخرجان متفاوتان" وقد عزَّزَ سيبويه ما ذهب إليه إذ قال: "والخاء والغين بمنزلة القاف، وهما من حروف الحلق بمنزلة القاف من حروف الفم، وقربهما من الفم كقرب القاف من الحلق، وذلك نحو: صَالغ في سَالغ، وصَلخ في سَلخ. فإذا قلت: "زقا" أو "زلق" لم تغيّرها، لأنّها حرف مجهور ولا تتصعّد كما تصعّدتْ الصّاد من السّين، وهي مهموسة مثلها، فلم يبلغوا هذا إذ كان الأَعْرَبُ والأجودُ في كلامهم تَرْكَ السّين حالها. وإنّما يقولها من العرب بنو العنبر. وقالوا "صَاطع"، لأنّها في التصعّد مثل القاف، وهي أولى بذا من القاف، لقُرْب المخرجين والإطباق"[58].

ويظهر من كلام سيبويه أنّه يردُّ هذه الظاهرة الصّوتيّة إلى ما يُعْرف بالمضارعة الصّوتيّة، إذ إنّ السّين تتأثّر بالقاف والغين والطّاء، وهي من أصوات الاستعلاء، وهذا يعمل تبدُّل السّين مع نظيرها المفخّم وهو الصّاد، بحيث يكون عمل اللسان واحداً، زيادةً التّسهيل الذي يحدث في عمليّة النّطق، إذ يصعُب اللسان نُطق صوت فيه صفة الاستفال، مثل السّين عندما يجاور صوتاً فيه صفة الاستعلاء والإطباق، مثل الأصوات القاف والطّاء والغين والخاء، ثمّ إنّه ليس خافياً ردّ سيبويه لهذه الظّاهرة إلى قبيلة عربيّة عُرِفَت ألسنتها باستعمال هذا اللون من الإبدال، وهي قبيلة بالعنبر التي تنحدر من قبيلة تميم. أنّ أبا حيّان الأندلسيّ قد عزا هذه الظّاهرة إلى قبيلة قريش، إذ قال في كلامه كلمة الصّراط والإبدال الذي حدث فيها مع السّين: "وهي لغة قريش" قرأ بها الجمهور، وبها كُتِبَ الإمام"[59] وقد ذكر ابن القمّاحِ: أنّ السّبب في الإبدال الذي يحدث بين السّين والصّاد يردّ إلى أنّ السّين مستفلة، والصّاد مستعلية فيتنافران، فكان إخراج الصّاد أسهل اللسان قبل الطّاء من السّين[60] وغير خافٍ الدّارسين أنّ الصّاد إذا جاورت الرّاء، فرّتْ إلى السّين. ولعلّ هذا يرجع إلى صفات الجهر والتّفخيم والتّكرار في صوت الرّاء.

رابعاً: إبدال الصّاد سيناً

إذا كانت السّين قد أُبدلت صاداً، فإنّ هناك ظاهرة أخرى، وهي إبدال الصّاد سيناً، وقد تغشّت هذه الظّاهرة ألسنة أهالي بصيرا- غالباً – كبار السّن، إذ يقولون: سِفْر في صِفر، وصُورة في سُورة، وقد ذكر علماء الأصوات أنّ لهذا الإبدال ما يجيزه ويبرّره، فالصّوتان مهموسان، وهما من مخرج واحد، فهما صوتان لثويّان أسنانيّان، وقد مالت اللهجات العربيّة الحديثة إلى التّخلّص من هذه الأصوات بسبب صفة التّفخيم التي فيها، حتّى صاروا يبدلون الصّوت المفخّم بنظيره المرقّق"[61].

وقد ذكر ابن منظور من هذا الإبدال بعض الأمثلة، ومنها: "الصِّماخ من الأذن: الخرق الباطن الذي يفضي إلى الرّأس، تميميّة، والسِّماخ لغة فيه، ويقال: إنّ الصِّماخ هو الأذن نفسها"[62] وصوت السِّين أكثر بساطة من الصّاد؛ لأنّ الأخيرة تقتضي عمليّة إضافيّة حركات نطق السِّين، وهذه العمليّة تتمثّل في حركة مؤخّر اللسان إلى أ، وحركة جذره إلى الخلف[63] ويظهر أنّ صعوبة نطق الصّاد ليست من مخرجه، وإنّما في صفة التّفخيم التي فيه، ومع هذا فقد احتفظت به اللغات السّاميّة، ولم يتعرّض لتغيّر مطلق، ولكنّه تعرّض لتغيّر مقيّد في العربيّة، وقد ترقّق الصّاد فتنطق سيناً. قال سيبويه:" الصّاد لولا الإطباق لصارت سيناً"[64] وقد ذكر ابن الجوزيّ أمثلة أُبدلت فيها الصّاد سيناً في لهجة بغداد، منها: صنجة الميزان والعامّة تقولها بالسّين،... وتقول: بحصت عينه بالصّاد،

والعامّة تقولها بالسّين"[65]

خامساً: إبدال الصّاد زاياً

يميل بعض أهالي بصيرا إلى إبدال الصّاد زاياً في بعض الكلمات، مثل قولهم: زغيّر في صَغِير ويشدّدون الياء، ومَزْدَر في مَصْدَر (في حال المفرد) أمّا الجمع فيقولون: (مَصَادِر) بالصّاد، ويقولون: مَزْبُوط في مَضْبُوط، وبَزَق وبَصَقَ، ولا يقولون: بسق بالسّين مع أنّها مستعملة عند العرب بالصّاد والزّاي والسّين، وقد ذكرها ابن القمّاح، إذ قال: "بزق، وبصق، وبسق، قيل: بسق: بَسَقَتْ النّخلةُ: طالت، وبالصّاد في غير القرآن معروف، وهو الأجود، ويقال: بالسّين والزّاي"[66].

ويذكر أنّ هذا الإبدال لهجة عربيّة قديمة ذكرها سيبويه، وعدّها من باب ما يعرف بالمضارعة الصّوتيّة، إذ قال:" فأمّا الذي يُضارَع به الحرف الذي من مُخْرجه فالصّاد السّاكنة إذا كانت بعدها الدّال. وذلك نحو: مَصْدَر، وأَصْدَر، والتّصْدِيْر؛ لأنّهما قد صارتا في كلمة واحدة، كما صارت مع التّاء في كلمة واحدة في (افتعل)، فلم تُدْغَم الصّاد في التّاء لحالها التي ذكرت لك، ولم تُدغم الدّال فيها ولم تُبدل لأنّها ليست بمنزلة "اصطبر"، وهي من نفس الحرف، فلمّا كانتا من نفس الحرف أُجريتا مجرى المضاعف الذي هو نفس الحرف من باب (مَدَدْتُ) فجعلوا الأوّل تابعاً للآخر، فضارعوا به أشبه الحروف بالدّال من موضعه، وهي الزّاي؛ لأنّها مجهورة غير مطبقة، ولم يبدلوها زاياً خالصةً كراهية الإجحاف بها للإطباق،...، وسمعنا العرب الفصحاء يجعلونها زاياً خالصةً،...، وذلك قولك في التّصدير: التّزدير، وفي الفصد: الفزد وفي أصدرت: أزدرتُ، وإنّما دعاهم إلى أن يقرّبوها ويبدلوها أن يكون عملهم من وجه واحدٍ"[67]

ويذكر ابن السّكّيت أنّ إبدال الصّاد زاياً، هو مظهرٌ من مظاهر التّخفيف، ويُفَهَمُ هذا من قوله: "سمعت خلفاً يقول: سمعت أعرابيّاً يقول: لم يُحْرَمْ مَنْ فُزِدَ لَهُ" أراد فُصِدَ لَهُ فَخَفَّف، وأبدل الصّاد زاياً"[68]، ولعلّ هذا ما يفسّر الفرار من الصّوت الصّعب إلى الصّوت السّهل.

سادساً: إبدال الدّال تاءً

يميل بعض أهالي بصيرا إلى إبدال الدّال تاءً، لاسيّما كبار السّن، ولعلّ هذا اللون من الإبدال في طريقه إلى الاختفاء، بسبب موت من يشيع ألسنتهم، ومن ذلك قولهم: تَفْتَر في دَفْتَر، وإبدال الدّال تاءً، أمرٌ تقرّه القوانين الصّوتية؛ لما بين الصّوتين من القرب في المخرج، والصّفات، فـ:" كلاهما صوت أسنانيّ لثويّ، ومخرجهما واحد، عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا. والفرق بينهما أنّ الدّال صوت مجهور نظيره المهموس هو التّاء"[69]، وقد روت العرب أمثلة كثيرة الإبدال الذي حدث بينهما، وهو قول عامة صقلية:" ثوب دُسْتَرِيّ بدل تُسْتُرِيّ، نسبة إلى تُسْتَر، وقولهم: مَدّ في السّير ومَتّ، وتَخَاريس القميص، بدل دَخَاريص"[70].

سابعاً: صوت الضّاد

صوت الضّاد صوت تميّزت به اللغة العربيّة عن غيرها من اللغات، وقد أُلّفت فيه المصنّفات الكثيرة، وذكر غير واحد من العلماء أن شهرته، وتعدّد صور نطقه يرجع إلى مخرجه، ومن رموزه الصّوتيّة التي عرفتها ألسنة العرب: "الظّاء، واللام المفخّمة، والطّاء (الدّال المفخّمة في النّطق المعاصر)، ومزجها بالدّال، وإشمامها الزّاي"[71].

أوّلاً: إبدال الضّاد ظاءً

من يستمع لأهالي بصيرا وهم يتكلّمون يجد أمراً غريباً، يختلف عن غيره عند أبناء المملكة الأردنيّة الهاشميّة، وهو وجود ظاهرة صوتيّة ليست موجودة عند غيرهم، وإذا كانت بعض البيئات الأردنيّة تخلط نطقها بين الضّاد والظّاء– وهو أمر ألفته ألسنة العرب قديماً – إلا أنّه قد ظهر للباحث أن ألسنة أهالي بصيرا تخلو من نطق الضّاد التي وصفها القدماء، فلا تسمعها ألسنتهم ألبتّة، فهم يبدلونها ظاءً حيثما وردت، ثمّ إنّهم يبدلون هذه الظّاء ذالاً في بعض الكلمات، ولعلّ ظاهرة إبدال الضّاد يرجع إلى قانون السّهولة والتّيسير، إذ إنّ صوت الظّاء أسهل منه، لا سيّما وأنّ الضّاد يحتاج نطقه إلى بذل جهد عضليّ أكثر من ذلك المبذول في حال النّطق بالظّاء، وصوت الضّاد صوت حظي باهتمام العلماء مختلف العصور، وقد قيل:" ومنذ القدم كان هذا الصّوت المعقّد العسير النّطق عرضة للتغيير"[72]. وَيُذْكَرُ أنّ العلماء القدماء والمحدثين قد اختلفوا في وصف هذا الصّوت الذي تميّزت به اللغة العربيّة، حتّى إنّهم لم يتّفقوا وصفه من حيث المخرج والصّفة، فسيبويه يذكر أنّ مخرجه من: "بين أوّل حافّة اللسان وما يليه من الأضراس"[73]. في حين وصفه أحد المعاصرين بقوله: "والضّاد صوت مخرجه يقرب من وسط الحنك، وهو لثويّ حنكي رخو (احتكاكي) مجهور مطبق، ليس له نظير من حيث المخرج. فكأنّ ضادنا تختلف عن ضادهم من حيث موقع النّطق، وكيفيّة مرور الهواء حال النّطق به، وأهمّ من هذا كلّه أنّ الضّاد القديمة ليس لها نظير من مخرجها، حين أنّ ضادنا لها نظير، هو صوت الدّال"[74].

وذكر سيبويه أنّ للضّاد صّفاتٍ قويّةً وصفةً ضعيفةً، أمّا الصّفات القويّة، فهي: الاستعلاء، والاستطالة، والإطباق، والجهر، وأمّا الصّفة الضّعيفة، فصفة الرّخاوة)" [75]. ولعلّ هذه الصّعوبة في مخرج صوت الضّاد – كما وصفه سيبويه زيادة تميّزه بصفات صوتيّة صعبة كذلك – هو ما يدفع العربيّ إلى

أن يبدله بصوت آخر يختلف من بيئة إلى أخرى.

ولقد رصد الباحث ظاهرة إبدال الضّاد في لهجة أهالي بصيرا، فوجدهم يبدلونها ظاءً حيثما وردت، ومن ذلك قولهم: " ظرب "في "ضرب" و(مشتقّاتها)، و"اظرِمْ النّار" في "اضرِمْ النّار"، و"ظل" في "ضلّ" و"ظرِيْب" في "ضِرِيْب" وهو عندهم دعاءٌ شخص إذا أرادُوا به سوءاً، ويقصدون به حالةً مَرَضِيّة! ويمكن عدّ هذا تفرّداً لهم وميزَةً، فهم لا يبدلونه بأي صوت آخر، كما هو الحال عند كثير من العرب، إذ يوجد منهم من يبدله زايا، أو دالاً. ويذكر يحيى عبابنة ومرعي أنّ: "صوت الضّاد القديمة قد اختفى من جميع اللهجات العربيّة الحديثة، وذلك لصعوبة نطق هذا الصّوت"[76]. حتى إنّ المستشرق برجشتراسر يؤكّد اختفاء الضّاد من اللسان العربي في العصر الحديث، إذ يقول:" فالضّاد العتيقة حرف غريب جدّاً، غير موجود حسبما أعرف في لغة من اللغات إلا في العربيّة، ولذلك كانوا يكنون عن العرب بالنّاطقين بالضّاد، ويغلب ظنّي أنّ النّطق العتيق للضّاد، لا يوجد الآن عند أحد من العرب"[77]. ويبدو للباحث أنّ اختفاء صوت الضّاد من لهجة أهالي بصيرا يردّ إلى عدم وجود صفة الإطباق في نطقهم لها، ولعلّ ما يؤيّد هذا قول سيبويه: "ولولا الإطباق لخرجت الضّاد من الكلام؛ لأنّه ليس شيء من موضعها غيرها"[78]. وعادة إبدال الضّاد ظاء موجود ألسنة العرب منذ القدم، فقد ذكر ابن الجزريّ:" أنّ من العرب من يجعل الضّاد ظاءً مطلقاً في جميع كلامهم، والنّاس يتفاضلون في النّطق بها، بسبب أنّه حرف يَعْسُر اللسان"[79].

ثامناً: إبدال الجيم شيناً

يُبدِلُ بعض أهالي بصيرا الجيم شيناً، وذلك إذا جاورت التّاء، مثل: مُشْتَمع في مُجْتَمع، و(تصريفاتها)، ويقولون: مُشْتَهد في مُجْتَهد، ويذكر أنّ القوانين الصّوتيّة تجيز هذا من الإبدال بسبب التّجاور الذي يحدث بين الجيم والتّاء، إذ إنّ الجيم والشّين من مخرج واحد، وهما من الأصوات الغاريّة، زيادةً أنّ الجيم صوت مجهور والتّاء صوت مهموس؛ ولذلك تتأثّر الجيم بصوت التّاء فتبدل الجيم بصوت مهموس من مخرجها وهو صوت الشّين. وبذا يتماثلان في صفة الهمس، وهذا يعني أنّ الدّال في الصّوت العربيّ (ds) تُحْذَفُ لوقوعها بالقرب من التّاء، حيث إنّ التّاء والدّال صوتان انفجاريّان بينهما صوت احتكاكيّ، فتبقى الجيم التي تشبه الجيم الشّاميّة وحدها فتُهمس وتتحوّل إلى شبه (s)؛ لأنّ التّاء تليها مهموسة.

ويبدو للباحث أنّ الجيم المركّب قد صار شيناً مجهورة، ولعلّ هذا ما يعزّزُ ما عناه سيبويه بقوله:" الجيم التي كالشّين"[80] وذكر أنّ صوت الجيم في انحلاله إلى الشّين أقدم من انحلاله إلى الدّال، وقد فقدت هذه الشّين صفة الجهر، فصارت مهموسة"[81]، ويذكر ابن الجزريّ: "أنه يجب أن يُتحفّظ بإخراج الجيم من مخرجها، فربّما خرجت من دون مخرجها، فيتشرّبها اللسان فتصير ممزوجة بالشّين كما يفعله كثيرٌ من أهل الشّام ومصر"[82]. والجيم والشّين من مخرج واحد، وهو: "من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأ"[83]، وهذا مما يجعل إبدال أحدهما من الآخر أمراً تقرّه القوانين الصّوتية، وقد ذكر ابن الأثير شاهداً، وهو: ما جاء في حديث الحجّاج " لها كظّة تشترّ "يقال: اشتر البعير واجترّ، وهي الجرّة لما يخرجه البعير من جوفه إلى فمه ويمضغه، ثم يبتلعه، والجيم والشّين من مخرج واحد"[84]. ويظهر للباحث أنّ تفسير هذا الإبدال الذي يحدث بين الجيم والشّين، هو أنّ المتكلّم يجد صعوبة في الانتقال أثناء نطقه من المجهور إلى المهموس، فيلجأ إلى المماثلة دون إرادة منه، فتتأثّر التّاء المهموسة في الجيم المجهورة التي سبقتها، فتنقلب الجيم إلى نظيرها المهموس، وهو الشّين فتتماثل الجيم والتّاء مع التّاء تماثلاً مدبراً جزئياً في حالة اتّصال إذ لا يوجد بينهما فاصل.

تاسعاً: الإبدال بين اللام والميم والنّون

أوّلاً: إبدال اللّام نوناً

يبدل بعض أهالي بصيرا اللّام نوناً وذلك في آخر بعض الأسماء، مثل: إسرائين في إسرائيل، وإسماعين في إسماعيل، وجبرين في جبريل، وجبرائين في جبرائيل، أنّ معظم الأردنيين يحدث في لهجاتهم مثلُ هذا الإبدال، وذُكِرَ أنّ هذه الظّاهرة كانت معروفة في لهجة أهل بغداد، وقد نعته اللغويّون آنذاك باللّحن من مثل: زجّان، والورن، بدلاً من الزّجّال والورل"[85]، أنّ القوانين الصّوتيّة تجيز هذا الإبدال، وقد فسّره علماء الأصوات إذ قالوا: إنّ الصّوتين (اللّام والنّون) من مخرج واحد، فهما صوتان لثويّان، ويشتركان في صفة الجهر، زيادةً أنّهما من الأصوات المائعة، وهذا ممّا يجيز التّعاقب بينهما، ثمّ إنّ النّون سرعان ما تتأثّر بما يجاورها من أصوات؛ ولأنّها بعد اللّام أكثر الأصوات السّاكنة شيوعاً في اللغة العربيّة، وهي كذلك تماثل اللّام في بُعْدِها عن أصوات الحلق إذ إنّ كليهما لا يتأثّران بأصوات الحلق"[86]، ويُفْهَمُ من هذا التّقارب بين النّون واللّام أنّه يوجد ما يسوِّغ ما يحدث بينهما من إبدال.

ثانياً: إبدال النّون لاماً

يبدل بعض أهالي بصيرا النّون لاماً، فيقولون: عمّال في عمّان، وهي ظاهرة معروفة عند العرب منذ القدم، فقد قالت العرب في أصيلان: أصيلال"[87]، وقد ذكر ابن السّكّيت أمثلة هذا اللون من الإبدال، إذ قال: "ويقال: لا بِل ولابن، وإسماعيل

وإسماعين، ...، وأنشد الفرّاء:

قد جَرَتِ الطّيرُ أيَامِنِينَا
قَالَتْ: وَكُنْتَ رَجُلاً فَطِيْنَا
هَذَا وَرَبِّ البَيْتِ إِسْرَائِينَا[88]

ثالثاً: إبدال الميم نوناً:

يميل بعض أهالي بصيرا إلى إبدال الميم نوناً، ومن ذلك قولهم: غِيْن في غِيْم، أي السّحاب، وقد ورد مثل هذا عند العرب، ومنه قول الشّاعر:

كأني بين خافِيَتَي عُقاب
مُرِيْدُ حمامة في يوم غَيْنِ

يريد يوم غيم"[89]. وذكر ابن السّكّيت أمثلة من هذا الإبدال، فقال: "والمدى والنّدى بمعنى الغاية"[90]، وقال الزُّبيديّ، ويقولون: "بزيم وإبزين للحديدة التي تكون في طرف حزام السّرج، يسرج بها وقد تكون في طرف المنطقة، ولها لسان يدخل في الطّرف الآخر من الحزام والمنطقة. قال محمد: والصّواب: "إبزيم"،...، ويقال أيضاً: إبزين ويُجمع أبازين "[91]. وكذلك قولهم: أسود قاتم وقاتن، والحَزَم والحَزَن: ما غَلُظ من الأرض، ولعلّ ما يسوّغ هذا الإبدال اشتراكهما في صفة الجهر زيادة أنّ كلاً منهما من الأصوات الشّبيهة بأصوات اللين، ثم إنّهما يشتركان في أنّ مجرى الهواء معهما من الأنف" [92].

عاشراً: إبدال القاف كافاً

يميل بعض أهالي بصيرا إلى إبدال القاف كافاً في بعض الكلمات، ومن ذلك قولهم: كُحّ في قُحّ، ويريدون من ذلك الخالص الذي لا تشوبه شائبة، وكَتَلَ في قَتَلَ، ووَكْت في وَقْت. ومن المعروف أنّ هذا اللون من الإبدال موجودٌ ألسنة العرب القدماء، فقد ذكره ابن السّكّيت بقوله: "ويقال: هو عربيٌّ كُحٌّ وعربيّةٌ كُحّةٌ، أبو زيد يقال: أعرابيٌّ قُحٌّ، وأعراب أقحاح: أي مَحْضٌ خالص"[93]، ولعلّ ما بين القاف والكاف من قرب هو ما سوّغ هذا اللون من الإبدال، فالقاف: "صوت لهويّ شديد مهموس، يصدر من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأ، وقد وصفه سيبويه بأنذه مجهور"[94]، وذكر أنّ الكاف:" صوتٌ وقفيّ (انفجاريّ) حنكيّ مهموس مرقّق، يصدر من أسفل موضع القاف من اللسان قليلاً، وممّا يليه من الحنك الأ"[95]، وبذا يقترب مخرج القاف من مخرج الكاف، وتختلف القاف عن الكاف بأنّ القاف من الأصوات المستعلية، وهذا ما يؤيّد تطوّر أحد الصّوتين من الآخر من النّاحية الصّوتيّة.

ثالثاً: الإمالة

والإمالة من الظّواهر الصّوتيّة المعروفة عند العرب، وقد ذكر سيبويه في كتابه عبارات دالّة عليها، ثم إنّه قد أشار إليها غير واحد من العلماء"[96]، وذكر المطلبي أنّها صوت مَدٍّ فرعيّ ظهر بسبب التّطوّر الذي أصاب نظام أصوات المدّ العربيّة، وتميّز هذا الصّوت (الإمالة) بأنْ بقي مجرّد صورة من صور نطق أصوات المدّ الأساسيّة، تستعمل في مواضع سياقيّة بعينها، أملتها عوامل صوتيّة بحتة من نحو المماثلة، أو المَيْلِ إلى الانسجام المدّي"[97].

الإمالة لغةً

من المَيْل، وهو العدول إلى الشّيء والإقبال عليه، وكذا المَيَلَان، ومَالَ الشَّيءُ يميلُ مَيْلاً، ومَمَالاً، وَتِمْيالاً، قال ابن السّكّيت: "والأمْيَلُ: الذي لا يَثْبُتُ ظهر الفرس"[98].

الإمالة في الاصطلاح

قال الجرجانيّ: "أن تنحي بالفتحة نحو الكسرة"[99]، وقال ابن الجزريّ: "الإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيراً وهو المحضُ، ويقال له الإضجاع، ويقال له: البطح، وربّما قيل له الكسرُ "[100].

ويظهر – من خلال ما ذكره العلماء – أنّ معنى الإمالة يدور حول التّقريبّ والإدناء.

والإمالة ظاهرة لهجيّة عُرِفت عند بعض القبائل العربيّة، مثل: تميم وقيس، وأسد، وأكثر أهل اليمن يُمِيْلُونَ؛ لأنّ الإمالة ألسنتهم في أكثر الكلام"[101]، أنّ ظهور الإمالة أكثر ما يكون في القراءات القرآنيّة، وقد حظيت بعناية العلماء، إذ عدّها بعضهم شكلاً من أشكال المماثلة، وعلماء العربية في تعريفها ثلاثة مذاهب: **الأول:** يرى أنها تقريب الألف من الياء"، **والثاني:** يرى أنها تقريب الفتحة من الكسرة"[102] أمّا **الثالث:** فهي عندهم تقريب الألف من الياء، والفتحة من الكسرة "[103]، ويلحظ أنّ الإمالة عند أصحاب المذهب الثّالث قسمان، هما: إمالة طويلة، وإمالة قصيرة، وهذا الرّأي الثّالث هو مفهوم الإمالة عند إطلاقه في كتب اللغة والقراءات. أمّا الغرض من اللجوء إلى الإمالة في اللغة' فمردّه إلى التّجانس الصّوتيّ"[104].

يميل بعض أهالي بصيرا إلى إمالة الفتحة نحو الكسرة، مثل قولهم في الأفعال: لِعِب في لَعِب، شِرِب في شَرِبَ، حِضِر في حَضَرَ، زِهِق في زَهِقَ، وكذلك الأسماء، فهم يقولون: بِعِير في بَعِير و بِخِيل في بَخِيل و مِرِيْض في مَرِيْض وقِوِي في قَوِي، وغيرها من الكلمات، ويذكر أنّ العرب قد عرفت مثل هذا اللون من الاستعمال قديماً، وقد حكى أبو زيد عنهم: "الجنّة لمن خاف وِعِيْد"[105]ولعلّ هذه الإمالة ترجع إلى أنه لا يوجد ما يمنعها من تلك الموانع التي يعرفها الدّرس الصّوتي، مثل حروف الاستعلاء.

وقد ظهر للباحث أنّ الإمالة في لهجة أهالي بصيرا جاءت في نوعين: الأوّل: إمالة الفتحة القصيرة نحو الكسرة، في مثل قولهم: مَزَايْدِة في مَزَايْدَة وحَمَايْدِة في حَمَايْدَة، والثّاني: إمالة

متمثّلة في انكماش الصّوت المركّب) aw (المكوّن من الفتحة والواو السّاكنة، فتصبح ضمّة طويلة مُمالة، وهم يميلون كذلك الصّوت المركّب(ay) صوت الفتحة في صوت الياء السّاكنة بعدها، فتتحوّل إلى كسرة طويلة مُمالة، ومن أمثلة ذلك قولهم:

نُوْم في نَوْم (nawm > nom)

ويُوْم في يَوْم (yawm > yom)

وبِيْت في بَيْت (bayt > bet)

وغيرها من الأمثلة التي يصعب حصرها، ويذكر أنّ هذه الإمالة شائعة في معظم لهجات العرب الحديثة، ولعلّ ذلك يرجع إلى صعوبة نطق الأصوات المركّبة، ممّا يجعلها تتحوّل إلى حركة طويلة ممالة، يجد العربيّ فيها سهولة ويسراً وخفّةً.

رابعاً: تسهيل الهمز

تميّز صوت الهمزة في اللغة باهتمام العلماء، ولعلّ هذا التّميّز مُتَأَتٍّ من طبيعة مخرجه وصفاته، فهو صوت – كما ذكر سيبويه – يخرج من أقصى الحلق، وَوَصَفَهُ بالجهر والشِّدّة"[106] في حين يرى علماء الأصوات المعاصرون أن مخرجه من الحنجرة، ويحدث بأن تنطبق فتحة المزمار انطباقاً تاماً فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأةً فيسمع صوت انفجاري هو ما نعبر عنه بالهمز"[107] وهو بذلك حنجري شديد. وقد اختلف المعاصرون في وصفه بالهمس أو الجهر. فيرى معظمهم أنه مهموس، ذلك أن الوترين الصوتيين معه يغلقان تماماً، فلا يحدث فيها ذلك الاهتزاز اللازم لصفة الجهر"[108]. ويرى آخرون أنه ليس بالمهموس ولا بالمجهور؛ لأن فتحة المزمار مغلقةٌ إغلاقاً تامّاً، فلا نسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين، ولا يسمح للهواء بالمرور في الحلق، إلا حين تنفرج فتحة المزمار ذلك الانفراج الفجائي "[109]. لم يكن النبر (الهمز) شائعاً عند الناس جميعاً، وإنما كان منهم من لا ينبر، ومن هؤلاء قريش، ووفق وصف القدماء والمحدثين لصوت الهمزة، يتبيّن أنه صوتٌ صعب يقتضي نطقه من المتكلم جهداً أكبر من أي جهد يبذله في نطق الأصوات الأخرى. وقد أثبتت الدِّراسات الحديثة تعقيد تركيبه" [110] إذ إن الهمزة أصعب إخراجاً من غيرها من الحروف، فينبغي لإخراجها تغليق فم الحنجرة، وهو مفتوحٌ في غيرها، فيقطع الزّفيرُ المتواصلُ الخروجَ أثناءَ الكلامِ [111]. و" صوت الهمز عسير النطق؛ لأنه يتم بانحباس الهواء خلف الأوتار الصّوتيّة، ثم انفراج هذه الأوتار فجأةً، وهذه عملية تحتاج إلى جهد عضلي كبير"[112]. وفي النطق بالهمز مشقةٌ [113]. ولقد دفعت الصعوبة في نطق صوت الهمزة كثيراً من اللغات السامية منذ زمنٍ قديمٍ إلى إجراء كثيرٍ من التحوّلات عليه، الرغم من أصالته فيها جميعاً، مع أن العرب قد تباينت معاملتهم له من حيث الاستعمال اللغوي، فبعضهم أسقطه كالحجازيين وآخرون حافظوا عليه، وقد اختارته الفصحى كمظهر قويٍ فصيح من مظاهرها المهمة وهو ما يعرف في اصطلاح اللغويين بتحقيق الهمز [114]

يميل أهالي بصيرا إلى التّخلّص من الهمزة إذا وردت في غير أوّل الكلمة، ولعلّ السّبب في هذا، هو طلب الخفّة والسّهولة، ومن أشكال تخلّصهم منها، مظهران، هما: إسقاطها و وإبدالها.

أوّلاً: إسقاط الهمزة

ومن أمثلته في لهجتهم، قولهم: جُو و جِيْتْ في جاؤوا وجئت، ويَام أحمد في يَا أُمّ أحمد، ومِنْتِه صادق في ما أنت صادق ومِنَيْن في مِن أين؟ ويُوْخِذ في يَأخُذُ، و يُوْكِل في يَأْكُل، وقولهم: هذي مره في هذه امرأة، وغيرها من الأمثلة الكثيرة، ولعلّ مَيْلَ أهالي بصيرا إلى إسقاط الهمز يرجع إلى ما فيه من الصّعوبة المتمثّلة في تهيئة جهاز النّطق من حيث الاستعداد في أثناء عمليّة النّطق به.

ثانياً: إبدال الهمزة

تخلّص أهالي بصيرا من الهمزة من خلال إبدالها، ومن أمثلة ذلك، قولهم: فاس في فأس، فار في فأر، قايد في قائد، وعرايس في عرائس، وبير في بئر، وكوس في كؤوس، وفوس في فؤوس، وغيرها من الكلمات، ويظهر من خلال هذه الأمثلة أنّهم يبدلون الهمزة: ألفاً أو واواً، أو ياءً، وهو إبدالٌ عرفته بعض ألسنة العرب، وقد أشار إليه سيبويه، إذ قال:" إذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها فتحة فأردت أن تخفّف أبدلت مكانها ألفاً، وذلك قولك في رأس راس،...، وإن كان ما قبلها مضموماً فأردت أن تخفّف أبدلت مكانها واواً، وذلك قولك في في الجؤنة... الجونة...، وإن كان ما قبلها مكسوراً أَبْدَلت مكانها ياءً... وذلك قولك: الذئب والمئرة: ذيب وميرة، فإنّما مكان كلّ همزة ساكنة الحرف الذي منه الحركة التي قبلها؛ لأنّه ليس شيء أقرب منه ولا أولى به منها"[115]

تبيّن أنّ أهالي بصيرا يتخلّصون من الهمزة، وذلك بإسقاطها، أو إبدالها بأحد أصوات المدّ (تبعاً للحركة التي قبلها)، إلا أنّهم يثبتونها– أحياناً – إذا وقعت فاءً للكلمة، ومن ذلك قولهم: أَكَلْ في أَكَلَ، أَخَذْ في أَخَذَ، ويظهر للباحث أنّهم قد تميّزوا عن غيرهم من أبناء البيئات العربيّة التي شاع فيها إسقاط الهمزة من أوّل الكلمة، ويذكر رمضان عبدالتّواب أنّ:" سقوط الهمزة في غير أوّل الكلمة هو الشّائع في اللهجات الحديثة، وكان هو المميّز للهجة قريش في الجاهليّة، غير أنّ هذا التّسهيل امتدّ إلى الهمزة في أوّل الكلمة كذلك، وفي كثير من العاميّات الحديثة، مثل "باط" في "أباط"، "دان" في "أذان"[116].

إنّ المتتبّع للهجة أهالي بصيرا، يستطيع أن يميّزها عن كثير من اللهجات في محافظة الطّفيلة، وذلك يرجع إلى أنّ لهجتهم سَلِسَةٌ، وطباعهم رقيقة، حتّى أنّ السّامع لهم لا يأنف كلامهم، ويتراءى للباحث أنّهم يَفْضُلُون غيرهم من أبناء الأردن في هذا، ولعلّ ممّا يُعَزِّزُ هذا ما ذكره ابن الجزريّ عند حديثه عن الهمزة، إذ قال: و: "النّاس يتفاضلون في النّطق بها مقدار غلظ طباعهم ورقّتها"[117].

خامساً: إلحاقهم هاءً للأسماء والأفعال والحروف بدلاً من ياء المتكلّم

من الظّواهر الصّوتيّة اللافتة للانتباه والمميزة والواضحة في لهجة أهالي بصيرا، إلحاقهم هاءً زيادة ضمير المتكلّم في الأسماء والأفعال والحروف، أمّا الأسماء، فمثل قولهم: أمِّيْهْ في أُمّي، وأَبُوبِيْهْ في أبي، واكْتَابِيْهْ في كتابي، وغيرها من الكلمات، وفي الأفعال مثل قولهم: ضَرَبْنِيْه، وشَدْنِيْه، و مَسَكْنِيْه، في ضربني وشدّني وأمسكني، ويلحظ في هذه الأخيرة، إسقاط الهمز، ومثل قولهم في الحروف: عِنّيْه ولَيِيْه وعَلَيْيِه في عنّي ولي وعليّ، ومن المعروف أنّ العرب تزيد ياءً إلى مثل هذه الكلمات، إذا أرادت إضافته إلى ياء المتكلّم فقط، أمّا أن تضاف هاءٌ زائدة الياء، فتلك ظاهرة صوتيّة غريبة– في حدود ما أعلم – انفرد بها أهالي بصيرا، وأهالي لواء الشّوبك، حتّى إنّ مَنْ يعرفهم يعيب عليهم هذا الاستعمال، أو يداعبهم بقوله: أنتم تقولون قَلَمِيْه تريدون قلمي، وجِدَتِيْهْ في جَدّتي وولدِيْهْ في ولدي، ولعلّ وجود مثل هذه الظّاهرة ألسنة أهالي بصيرا والشّوبك عادة في النّطق توارثتها الأجيال، يرجع تفسيرها إلى أنّهم يزيدون في كميّة الصّوت حال النّطق بالكلمات التي يضيفونا إلى ياء المتكلّم، ممّا يضطرهم إلى إلحاقها هاءً، ليسهل عليهم الوقف عليها، وهو أمر لا يتأتّى لهم، إلا إذا فَعَلُوا ذلك، ويبرّر بعض أهالي بصيرا ذلك بالاستشهاد بالقرآن الكريم، مثل قوله تعالى:" هاؤم اقرؤوا كتابيه" الحاقّة: 19، والصّحيح أنّ الأمرين مختلفان.

النّتائج

تبيّن من خلال رصد شواهد الدّراسة عددٌ من النتائج، هي:

- لجأ أهالي بصيرا إلى المماثلة والإدغام والإمالة وتسهيل الهمز، إذ لجأوا إليها طلباً للخفّة.
- خُلوُّ هذه اللهجة من كثير من الظواهر الصّوتيّة سوى: الفحفحة، والطُّمطمانيّة والعنعنة، ويظهر للباحث أنّ هذه ميزة، ليست متوافرة في كثيرٍ من اللهجات العربيّة في حدود ما علمه، كما تخلو هذه اللهجة من صوت الضّاد، إذ يبدلونه ظاءً حيثما ورد، وليس له صورة أخرى عندهم غير الظّاء.
- انفراد أهالي بصيرا ببعض الظّواهر الصّوتيّة، مثل إلحاق الهاء في أواخر الكلمات، وعدم وجود ظاهرة الكشكشة، فلا يوجد بينهم من ينطق الكاف شيناً، في حين تشابهت مع بعض اللهجات الأردنيّة، مثل الإمالة بأنواعها.
- ظهر للباحث أنّه لم يطرأ لهجة أهالي بصيرا أي تبديل أو تغيير من تلكم التّغييرات التي يعرفها أهل التّمدّن، من مثل قلب القاف همزة أو الذّال زايا أو دالاً، إذ لا تسمع مثل هذه الاستعمالات ألسنتهم ألبتّة.
- يمكن تفسير بعض مواضع الإبدال التي وردت ألسنة أهالي بصيرا بأنّه يعود إلى السّلوك اللهجي الذي فرض نفسه أبنائها.

الهوامش

(1) بيركهارت، رحلات في الدّيار المقدّسة والنّوبة والحجاز، ص 254، 255، وانظر: القوابعة، سليمان، (باحث)، الطّفيلة تاريخها وجغرافيّتها دراسة تحليليّة، الجزء2، ص 116، 117، 160، 1986م.

(2) عناني، سمر البادية ضرب المكانس من يوميّات معلّم في البادية، 48، وانظر: العبّاديّ، العشائر الأردنيّة" الأرض والإنسان والتّاريخ "، ج1، ط1، 637.

(3) انظر: عبّاس، تاريخ دولة الأنباط، ط1، 20، والعزّة، أسماء الأشخاص والأماكن عند الآدوميّين، 4.

(4) ابن منظور، لسان العرب، ط3، 320/12، (لهج).

(5) انظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، نسخة مصوّرة عن طبعة حيدر أباد، ط1، 2/ 114، (جله)، وابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ط1، 4/ 120، (لهج)، الزّمخشريّ، الفائق في غريب الحديث، ط2، 1/ 397.

(6) هلال، اللهجات العربيّة نشأة وتطوّراً، 260، ونجا، اللهجات العربيّة، 96 .

(7) المطلبي، لهجة تميم وأثرها في العربيّة الموحّدة، 29، 30.

(8) حسّان، اللغة بين المعياريّة والوصفيّة، 183، 184، وانظر: أنيس، في اللهجات العربيّة، ط6، 16.

(9) أنيس، الأصوات اللغويّة، ط5، 126.

(10) سيبويه، الكتاب، ط1، 426/2.

(11) ابن جني، الخصائص، ط3، 2/ 141، 1986م.

(12) للزّيادة: انظر: عبد التّوّاب، التّطوّر اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ط1، 22– 36.

(13) سيبويه، الكتاب، 4/ 478 " والتّقريب "سيبويه، الكتاب، 4/ 445، والمبرّد، المقتضب، 1/ 225، " والمشابهة " الأشموني، شرح الأشموني ألفيّة ابن مالك، ط3، 4 / 601.
(14) الأصوات اللغوية: 134، وانظر: المبرّد، المقتضب، وفيه تفصيل عن أحوال الإدغام، 1/ 192- 224 .
(15) لسان العرب: 4/ 366، (دغم)، وانظر: الزّمخشريّ، أساس البلاغة، 1/ 274، (دغم)، إذ قال:" ومن المجاز: إدخال الحرف في الحرف".
(16) انظر: ابن يعيش، شرح المفصّل، 10/ 121- 123.
(17) الخصائص، 2/ 141.
(18) السّخاويّ، جمال القرّاء، وكمال الإقراء، ، ط1، 490.
(19) انظر: الحمد، الدّراسات الصّوتية عند علماء التجويد، ط1، 573.
(20) لسان العرب، 1/ 343، 344 (بدل).
(21) مرعي، المصطلح الصّوتيّ عند علماء العربيّة، ط1، 170.
(22) انظر: السّحيمات، مباديء في الصّرف العربيّ، ط1، 223.
(23) السّيوطي، الاقتراح في علم أصول النّحو، 128.
(24) الزّمخشريّ، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، ط1، 1995م، 4/ 780، 781.
(25) رابين، تشيم (مؤلّف بريطانيّ)، اللهجات العربيّة القديمة في غرب الجزيرة العربيّة، وقد حفظ الدّارسون قول هذيل:" اللعم الأعمر أعسن من اللعم الأبيض "أي: اللحم الأحمر أحسن من اللحم الأبيض " 172، 173.
(26) أنيس، في اللهجات العربية، ط 6، 82.
(27) السّابق، 120.
(28) الأصوات اللّغويّة، 88.
(29) لسان العرب، باب ألقاب الحروف،...1/ 25).
(30) انظر: في اللهجات العربية، 133، والكتاب: 4/ 586.
(31) الشّايب، محاضرات في اللسانيات، ط 1، 190، 191.
(32) عبد التّوّاب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط2، 1985م، 225.
(33) السابق: 149 - 151.
(34) السّيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، د.ط، 1986م، 460/1، وانظر: الأستراباذيّ، شرح الكافية في النّحو لابن الحاجب، 2/ 131.
(35) الخطيب البغداديّ، الكفاية في علوم الرّواية، 1/ 183، وانظر: الزّيلعي، نصب الرّاية، 2/ 416.
(36) انظر: في اللهجات العربيّة: 124، والمصطلح الصّوتي: 173، و، مجاهد، علم اللسان العربيّ، ط1، 276، وعمايرة، بحوث في اللغة والاستشراق، ط2، 249.
(37) للزيادة: انظر: مطر، لحن العامّة في ضوء الدّراسات اللغويّة الحديثة، 228.
(38) الاقتراح في علم أصول النّحو، 128، ولهجة تميم، 88.
(39) شاهين، القراءات القرآنيّة في ضوء علم اللغة الحديث، د. ط، 31،32.
(40) الاقتراح في علم أصول النّحو: 128.
(41) ديوان ذي الرّمّة، ط2، 371/1، وقد وردت أن (أأن)، إلا أنّه ذكر في الحاشية أنّها وردت في غير موضع (أعن)،وفيه شاهد آخر، وهو قلب الكاف شيناً، في كلمة: جيدك، جيدش.
(42) شرح المفصّل، 10/ 8.
(43) ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر، 314/3.
(44) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغويّ، ص56.
(45) الكتاب، 4/ 451.
(46) الصّقلّي، تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، 94.
(47) لحن العامّة في ضوء الدّراسات اللغويّة الحديثة، 107.
(48) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغويّ، 54.
(49) الكتاب، 4/ 433.
(50) مناهج البحث في اللغة، 127.
(51) أنيس، الأصوات اللغوية، 74.
(52) الكتاب، 4/ 434، 435، أنيس، الأصوات اللغوية، 22، 25، 26.
(53) مناهج البحث في اللغة، 127.
(54) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، 52، 53.
(55) الكتاب، 4/ 434، وحسنين، المدخل إلى علم الأصوات ط1، 117.
(56) مكي بن أبي طالب القيسي، الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التّلاوة،...، ط2، 220، 221.
(57) الكتاب، 4/ 479، 480. وقد قال كذلك:" هذا باب ما تقلب فيه السّين صاداً في بعض اللغات" وانظر: الكتاب، 427/2.
(58) الكتاب، 4/ 479، 480.
(59) أبو حيّان، البحر المحيط، ط 1983م، 25/1.
(60) ابن القمّاح، الملخّص من كتاب الفرق بين السّين والصّاد، (741 هـ)، ط2، ص48، 49.
(61) أنيس، في اللهجات العربيّة، 127، 128.
(62) لسان العرب، 6/ 356، (سمخ)، وقال:" والسِّماغ لغة في الصِّماخ".
(63) مختار، دراسة الصّوت اللغوي، ط1، 340.
(64) انظر: الكتاب، 436/4.
(65) ابن الجوزيّ، تقويم اللسان، ط2، د.ت، 82.
(66) الملخّص، 51.
(67) الكتاب، 4/ 477، 478.
(68) ابن السّكّيت، كتاب الإبدال، 105.
(69) الأصوات اللغوية، أنيس، إبراهيم، 49، 51.
(70) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 1/ 464، وتثقيف اللسان: 19، وتقويم اللسان، 123.
(71) انظر: الحمد، غانم قدّوريّ، الدّراسات الصّوتيّة عند علماء التّجويد، 270، " بتصرّف ".
(72) كانتينو، جان، (مستشرق فرنسيّ)، دروس في علم الأصوات، 86.

(73) الكتاب، 4/ 432، 433، 434، 435.
(74) بشر، دراسات في علم اللغة، 2/ 132.
(75) الكتاب، 4/ 436.
(76) مرعي، عبدالقادر، ، يحيى القاسم، لهجة الكرك دراسة وصفيّة تاريخيّة في الأصوات والأبنية في جميع المواضع، ط1، 73.
(77) برجشتراسر، التّطوّر االنّحويّ للغة العربيّة، دار الرّفاعيّ، الرّياض، 1982م 18، 19
(78) الكتاب، 2/ 406.
(79) انظر: ابن الجزريّ، التّمهيد في علم التّجويد، ط1، 107.
(80) الكتاب، 4/ 432.
(81) عبدالتّوّاب، لحن العامّة والتّطوّر اللغويّ، ط2، 315.
(82) ابن الجزري، النّشر في القراءات العشر، 217/1.
(83) الكتاب، 433/4.
(84) النهاية في غريب الحديث والأثر، (شرر) 459/2 وانظر: لسان العرب، (شرر) 404/4.
(85) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، عبد العزيز مطر، 190، وانظر: كتاب الإبدال: ابن السكيت، 62، 63، 111.
(86) انظر، المسيعدين، عمر عبدالمعطيّ، المعيار الصّوتي لغرابة الحديث في كتاب النّهاية في غريب الحديث والأثر، 150، 151.
(87) ابن جني، سرُّ صناعة الإعراب، ط2، 1/ 321.
(88) كتاب الإبدال، ابن السكيت، (244هـ)، 68، وانظر: الخصائص: 2/ 440، وقد جعله تحت عنوان: تحريف الحرف".
(89) لسان العرب، 10/ 162 (غيم) .
(90) كتاب الإبدال، ابن السّكّيت،: 80.
(91) الزُّبيديّ، لحن العوام، ط2، 2000م، 73.
(92) لحن العامة في ضوء الدّراسات اللغويّة الحديثة، مطر، عبد العزيز، 230.
(93) السّابق، 113.
(94) الكتاب، 4/ 434، وانظر: الأصوات اللغويّة، إبراهيم أنيس، 83، 84.
(95) الكتاب: 4/ 434، المدخل إلى علم الأصوات، صلاح حسنين: 135 – 139.
(96) انظر: الكتاب، 261/2،259، 3/ 278، وشرح المفصّل، 9/ 53.
(97) المطلبي، في الأصوات اللغويّة دراسة في أصوات المدّ العربيّة، 311، بتصرّف.
(98) ابن فارس، مجمل اللغة، ط1، عمّان، 3/ 821.
(99) الجرجانيّ، التّعريفات، ط1، 1405هـ، 53/1.
(100) ابن الجزريّ، النّشر في القراءات العشر، ط2، 2002م،2/ 24.
(101) انظر: الكتاب، 3/ 278، شرح المفصل: 9/ 53.
(102) انظر: الأستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، د. ط،: 3/ 4.
(103) انظر: شرح شافية ابن الحاجب، 4/3.
(104) سر صناعة الإعراب، 1/ 52.
(105) انظر: لحن العامّة في ضوء الدّراسات اللغويّة الحديثة، 259، 261.
(106) الكتاب: 433/4، 434.
(107) الأصوات اللّغويّة: إبراهيم أنيس: 89، 90، مناهج البحث في اللّغة: 125، المدخل إلى علم الأصوات: صلاح حسنين: 153.
(108) مناهج البحث في اللّغة: 125، المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللغوي: 56، 57، و كمال، ربحي، الإبدال في ضوء اللغات السامية " دراسة مقارنة، 8.
(109) الأصوات اللّغويّة: إبراهيم أنيس: 90، و السّعران، علم اللغة مقدمة للقارىء العربي"، 170، 171، المدخل إلى علم الأصوات: صلاح حسنين: 153، و العطيّة، في البحث الصوتي عند العرب، 44، 45.
(110) جديدي، البنية الصوتية للكلمة العربية، 50.
(111) التطور النحوي للغة العربيّة: 42.
(112) السابق: 48.
(113) ابن درستويه، كتاب الكُتّاب، ط1، 1992م، 27.
(114) العبابنة، يحيى، النظام اللغوي للهجة الصفاوية في ضوء الفصحى واللغات السامية، ط1، 167.
(115) الكتاب، 543/3 وما بعدها.
(116) التطور اللغوي، 48.
(117) التمهيد في علم التجويد، 107.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، مجدّ الدّين، المبارك بن محمد ،(606هـ)، النّهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الزّاوي و محمود الطّناحي، 1963م دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

ابن الجزريّ، أبو الخير محمد بن محمد، (833هـ)، التّمهيد في علم التّجويد، تحقيق علي حسين البوّاب 1985م، دار المعارف، الرّياض، ط1.

ـــــ، النّشر في القراءات العشر، تحقيق محمد علي الضباع، 2002م منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط2.

ابن الجوزيّ، أبو الفرج عبد الرّحمن، (597هـ)، تقويم اللسان، تحقيق عبد العزيز مطر، دار المعارف، مصر، ط2، د.ت.

ابن السّكّيت، أبو يوسف، يعقوب بن إسحاق، (244هـ)، كتاب الإبدال، تحقيق حسن محمد شرف، 1978م. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة.

ابن القمّاح، أبو الحسن، محمد، (320 هـ)، الملخّص من كتاب الفرق بين السّين والصّاد، لخّصه: أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن القمّاح، (741 هـ)، حقّقه تركي بن سهو العتيبي 2009م، دار صادر، بيروت، ط2.

ابن جني، أبو الفتح، عثمان بن جني، (392 هـ)، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، 1986م.

ـــــ، سرُّ صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق حسن هنداوي، 1993م دار القلم، دمشق، ط2.

ابن درستويه، أبو محمد، عبد الله بن جعفر، (347هـ)، كتاب الكُتّاب، تحقيق، إبراهيم السامرائي وعبد الحسين الفتلي، 1992م دار الجيل، بيروت، ط1.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، (321هـ)، جمهرة اللغة، نسخة مصوّرة عن طبعة حيدر أباد، ط1، دار صادر، بيروت، 1344هـ.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسيّ، (458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق محمد علي النّجّار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط1، 1971م.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريّا، (395هـ)، مجمل اللغة، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان 1984م، مؤسسة الرّسالة، ط1، عمّان.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم، (711هـ)، لسان العرب، دار إحياء التّراث، مؤسّسة التّاريخ العربيّ بيروت، لبنان، ط3، 1999م.

ابن يعيش، موفّق الدّين يعيش بن عليّ،(643هـ)، شرح المفصّل، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د. ت.

أبو حيّان، أثير الدّين محمد بن يوسف الأندلسيّ، (745هـ)، البحر المحيط، مطابع النّصر الحديثة، الرّياض، ط 1983م.

الأستراباذي، رضي الدّين محمد النّحويّ، (686هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد محيي الدّين عبد الحميد وآخرين، دار الكتب العلميّة، بيروت، د. ط.

ـــــ، شرح الكافية في النّحو لابن الحاجب، دار الكتب العلميّة، بيروت، د. ط، 1985م.

الأشموني، أبو الحسن، عليّ بن محمد، (900هـ)، شرح الأشموني ألفيّة ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدّين عبد الحميد، ط3، دار الاتّحاد العربيّ للطّباعة، القاهرة.

أنيس، إبراهيم، (1977م)، الأصوات اللغويّة، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ط5، 1975م.

ـــــ، 1984 في اللهجات العربيّة، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط6.

برجشتراسر، (1933م)، التّطوّر االنّحويّ للغة العربيّة، أخرجه وصحّحه وعلّق عليه: رمضان عبد التّوّاب 1982م، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرّفاعيّ، الرّياض.

بشر، كمال، 1969م دراسات في علم اللغة، دار المعارف، مصر.

بيركهارت، جون لويس، (ت 1817م)، رحلات في الدّيار المقدّسة والنّوبة والحجاز، ترجمة فيصل أديب محمد 1993م، عمّان، د. ن.

جديدي، عبدالقادر1985م، البنية الصوتية للكلمة العربية، تونس.

الجرجانيّ، علي بن محمد بن علي، (816هـ)، التّعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياريّ 1405هـ، دار الكتاب العربيّ ، بيروت، ط1.

حسّان، تمّام، اللغة بين المعياريّة والوصفيّة، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، د. ت.

حسنين، صلاح الدين صالح 1981م، المدخل إلى علم الأصوات" دراسة مقارنة "، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، ط1.

الحمد، غانم قدوري 1986م، الدِّراسات الصّوتية عند علماء التجويد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مطبعة الخلود، بغداد، العراق، ط1.

الخطيب البغداديّ، أحمد بن عليّ، (463هـ)، الكفاية في علوم الرِّواية، المكتبة العلميّة، المدينة المنوّرة، تحقيق: أبو عبد الله الصّورقي، وإبراهيم حمد المدنيّ، د. ت، د. ط.

ذو الرّمّة، ديوان ذي الرّمّة، شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهليّ صاحب الأصمعيّ، تحقيق عبد القدوس أبي صالح، 1982م مؤسّسة الإيمان، بيروت، لبنان، ط2.

رابين، تشيم (مؤلّف بريطانيّ)، اللهجات العربيّة القديمة في غرب الجزيرة العربيّة، ترجمة، مجاهد، عبد الكريم، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت.

الزُّبيديّ، أبو بكر محمد بن حسن،(379هـ)، لحن العوام، تحقيق رمضان عبد التّوّاب 2000م، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2.

الزّمخشريّ، جار الله محمود بن عمر، (538 هـ)، أساس البلاغة، قدّم له: محمود فهمي حجازي 2003م، الهيئة العامّة لقصور الثّقافة الشّركة الدّوليّة للطّباعة، 6 أكتوبر، القاهرة، د،ط.

ـــــ، الفائق في غريب الحديث، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، د. ت.

ـــــ، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه

التّأويل، رتّبه وضبطه وصحّحه، محمد عبدالسّلام شاهين، 1995م دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1.
الزّيلعي، عبد الله بن يوسف، (762هـ)، نصب الرّاية، تحقيق محمد يوسف الأبنوريّ 1357هـ، دار الحديث، مصر، د. ط.
السّحيمات، يوسف 2002م، مباديء في الصّرف العربيّ، مكتبة الفلاح، الكويت، دار حُنين، عمّان، ط1.
السّخاويّ، علم الدِّين، أبو الحسن علي بن محمد ، (643هـ)، جمال القرّاء، وكمال الإقراء، ، تحقيق علي حسين البوّاب 1987م، مكتبة التّراث، مكّة المكرّمة، ط1.
السّعران، محمود، 1962م علم اللغة مقدمة للقارىء العربي "، دار الفكر العربي، القاهرة.
سيبويه، أبو بشر، عمرو بن عثمان (180هـ)، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون 1991م، دار الجيل، بيروت، ط1.
السّيوطي، جلال الدّين عبد الرّحمن، (911 هـ)، الاقتراح في علم أصول النّحو، قدّم له أحمد سليم الحمصي، محمد أحمد قاسم، دار جروس برس، طرابلس، لبنان.
ـــــ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، 1986م منشورات المكتبة العصريّة، بيروت، د. ط.
شاهين، عبد الصّبور 1966م، القراءات القرآنيّة في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ط.
الشّايب، فوزي 1999م، محاضرات في اللسانيات، منشورات وزارة الثقافة، الأردن – عمان، ط 1.
الصّقلّي، ابن مكّيّ، (501هـ)، تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، تحقيق عبد العزيز مطر، دار المعارف، القاهرة، (د. ت).
العبابنة، يحيى 1997م، النظام اللغوي للهجة الصفاوية في ضوء الفصحى واللغات السامية، منشورات جامعة مؤتة، عمادة البحث العلمي، ط1.
العبّاديّ، أحمد عويديّ 1986م، العشائر الأردنيّة" الأرض والإنسان والتّاريخ "، الدّار العربيّة للتّوزيع والنّشر، عمّان ج1، ط1.
عبّاس، إحسان، (2003م)، تاريخ دولة الأنباط، دار الشّروق، عمّان، ط1، 1987م.
عبد التّوّاب، رمضان (2001م)، التّطوّر اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1983م.
ـــــ، 2000م لحن العامّة والتّطوّر اللغويّ، مكتبة زهراء الشّرق، القاهرة، ط2.
ـــــ 1985م، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2.
العزّة، عمّار جاسر 1995م، أسماء الأشخاص والأماكن عند الآدوميّين، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنيّة، عمّان.
العطيّة، خليل إبراهيم 1983م، في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد.
عمايرة، إسماعيل أحمد 2003م، بحوث في اللغة والاستشراق، دار وائل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، عمّان، ط2 .
عناني، عمر، (2002)، سمر البادية ضرب المكانس من يوميّات معلّم في البادية، دار وائل للطّباعة والنّشر، عمّان.
كانتينو، جان،(مستشرق فرنسيّ)، دروس في علم الأصوات، تعريب: صالح القرمادي 1966م، الجامعة التّونسيّة، مركز الدّراسات والبحوث الاقتصاديّة والاجتماعيّة.
كمال، ربحي 1980م، الإبدال في ضوء اللغات السامية " دراسة مقارنة، جامعة بيروت العربية.
المبرّد، أبو العبّاس محمد بن يزيد (285هـ)،المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، د. ط، د. ت.
مجاهد، عبدالكريم 1997م، علم اللسان العربيّ، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط1.
مرعي، عبدالقادر 1993م، المصطلح الصّوتيّ عند علماء العربيّة، منشورات جامعة مؤتة، الأردن، ط1.
مرعي، عبدالقادر 1996م، ويحيى القاسم، لهجة الكرك دراسة وصفيّة تاريخيّة في الأصوات والأبنية في جميع المواضع، منشورات جامعة مؤتة، ط1.
المسيعدين، عمر عبدالمعطيّ 2001م، المعيار الصّوتي لغرابة الحديث في كتاب النّهاية في غريب الحديث والأثر ،(رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة).
مطر، عبد العزيز 1967م، لحن العامّة في ضوء الدّراسات اللغويّة الحديثة، دار الكاتب العربيّ للطّباعة والنّشر، القاهرة.
المطلبي، غالب فاضل 1978م، لهجة تميم وأثرها في العربيّة الموحّدة، الحريّة للطّباعة، بغداد.
ـــــ، 1984 في الأصوات اللغويّة دراسة في أصوات المدّ العربيّة، منشورات وزارة الثّقافة العراقيّة، بغداد، 1984م،" بتصرّف ".
مكي بن أبي طالب القيسي، (437 هـ)، الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التّلاوة،...، تحقيق أحمد حسن فرحات 1984م، دار عمّار، عمّان ط2.
نجا، إبراهيم، اللهجات العربيّة، مطبعة السّعادة، مصر، د. ت.
هلال، عبدالغفّار حامد 2011م، اللهجات العربيّة نشأة وتطوّراً، دار الفكر العربي، القاهرة.
وانظر: القوابعة، سليمان، (باحث) 1986م، الطّفيلة تاريخها وجغرافيّتها دراسة تحليليّة، الجزء2، عمّان، المطبعة الأردنيّة، د. ط.

Phonetic Phenomena in the Dialect of Busira: A descriptive and historical study

Omar Abdul- Mu'ti Al-Saudi *

ABSTRACT

This study aims to unveil the phonetic phenomena in the dialect of Busira town, Tafila-South of Jordan, and its regions: Gharandal, Umm Sarab, Ri'a and Rawath and to document and save them as they are used for a certain usage at a certain time. The researcher uses the descriptive and historical approaches through observation and documentation. The researcher tries to reach some interpretations for these phonetic phenomena and to link them, where possible, with their historical roots in the Standard Arabic and old Arabic dialects. These phenomena are represented in the assimilation phenomenon through: al-idgham, al-ibdal, al-imalah and tashil al-hamz. The study consists of an introduction, a definition of the term dialect, an introduction of Busira area; its people and geography, a discussion of the results, a conclusion and a list of bibliography. One of the most important findings is the substitution of the /dˤ/ phoneme with the /ðˤ/ in all contexts.

Keywords: Phonetic Phenomena, Busira, Dialect, Assimilation, al-idgham, al-ibdal

* Department of Arabic Language And Literature, Tafilah Technical University, Jordan. Received on 19/6/2014 and Accepted for Publication on 1/1/2015.